شهر صفر والمعتقد الصحيح

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٥٠ السنة الخامسة والخمسون - صفر ١٤٤٧ هـ الثمن ١٠ جنيهات

رمي السهام في نحور اللئام

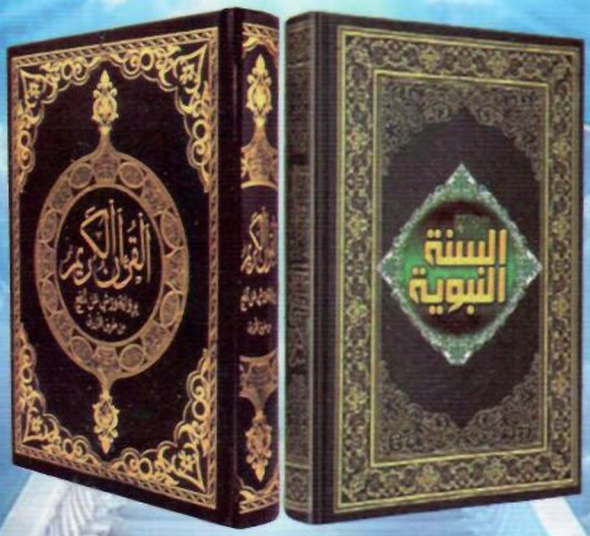

لعلكم تهتدون..

هذا طريقك إلى الهداية

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٥٠ السنة الخامسة والخمسون - صفر ١٤٤٧ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

Upload by : altawhedmag.com

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبدالمجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودي بالجنيه المصري.

السلام عليكم

التشاؤم بالأزمان من ميراث الجاهلية

التشاؤم: توقُّع حدوث شرّ أو مكروه من شيء ما يراه أو يسمعه المتشائم، فيتوهم وقوع المكروه به، وهو من سوء الظن بالله تعالى، وعكسه التيمن والفأل: وهو من حُسن الظن بالله تعالى، وهو من حيث الأصل محمود. (المنهاج، للحليمي: ٢/ ٢٥).

وقد كان أهل الجاهلية يتشاءمون بأشياء كثيرة سواء كانت في الأزمان أو الطيور أو الأماكن أو الأشخاص، ومما كانت تتشاءم منه الجاهلية شهرُ صفر، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر» (صحيح البخاري: ٥٧٠٧).

وقد تابع الروافضُ أهل الجاهلية في التشاؤم من صفر، وتلاعب الشيطان بهم، حتى إنهم كانوا في آخر يوم من شهر صفر يكسرون الأواني التي استعملوها فيه.

وهذا من ميراث الجاهلية، فلا شؤم في زمن من الأزمان، وكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مُبارَك عليه؛ لأن فيه رضا الله، وفي ذلك سعادة الدارين، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤوم عليه؛ لأن فيه سخط الله، وإذا سخط الله على عبده شقي في الدنيا والآخرة، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى، فطوبى لعبد قال خيرًا وظن خيرًا بربه.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

Upload by : altawhedmag.com

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

شهر صفر والمعتقد الصحيح
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب العقيدة د. عبد الله شاكر ٨
لعلكم تهتدون د. محمد حامد ١١
سترة المصلي الشيخ/ صفوت نور الدين رحمه الله ١٧
نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية
د. السيد عبد الحليم محمد ٢١
برهان محبة العبد لربه
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٤
واحة التوحيد د. علاء خضر ٢٨
فقه الصلاة على الكرسي د. أحمد بن سليمان أيوب ٣٠
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٣٦
الصحابة ومكانتهم الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٤٠
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٣
وصية نبوية غالية الشيخ صلاح عبد الخالق ٤٧
دراسات قرآنية الشيخ مصطفى البصراتي ٥٠
تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
د. جمال عبد الرحمن ٥٢
وصية النبي بأهل مصر الشيخ صلاح نجيب الدق ٥٥
الدعوة وبناء المجتمع د. محمد محمود العطار ٥٩
رمي السهام في نحور اللئام د. سيد عبد العال ٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهما ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الالكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

Upload by : altawhedmag.com

شهر صفر والمعتقد الصحيح

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

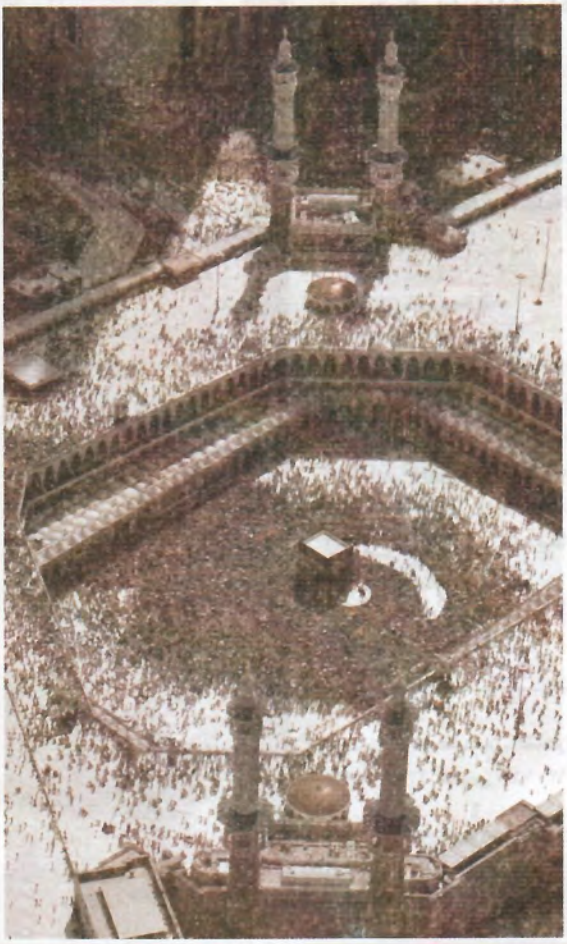

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن من رحمة الله بعباده أن فطرهم على العقيدة الصحيحة. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا».

وشهر صفر من الشهور القمرية ضمن شهور العام الهجري قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي

Upload by : altawhedmag.com

كِتَٰبَ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » (التوبة: ٣٦).

وهو الشهر الثاني في ترتيب أشهر العام. قال ابن منظور: شهر صفر هو الشهر الثاني في ترتيب الشهور، وسمي بذلك: لإصفار مكة من أهلها إذا سافروا، وقيل: سموا صفرًا: لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون القوم صفرًا من المتاع (أي لا شيء لهم).

وقد أحدث المشركون في شهر صفر أعمالًا تزيد في كفرهم يضلون بها عن سواء السبيل، ومنها: النسيء، وهو الذي ذمّه القرآن وعابه، قال تعالى: «إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ » (التوبة: ٣٧). قال ابن كثير رحمه الله: هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله، وتحريمهم ما أحل الله، فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية ما استطالوا به مُدَّة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم وتأخيره إلى صفر، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال، ليواطئوا عدة الأشهر الأربعة.

ومما أدخله المشركون على شهر صفر: أنهم كانوا يتشاءمون بدخوله، فقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا عَدْوَى وَلا هَامَ وَلا صَفَرَ».

وفي الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الْفَأْلَ». قالوا: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

وقد ذكر العلماء في قوله: «ولا صفر» أقوال فيها اعتقادهم في داء يصيب البطن، وهو أعدى من الجرب. وجاء في «لطائف المعارف»: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يقولون عن صفر: شهر مشؤوم، ثم قال: ولعل هذا أعدل الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينهى عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها.

> لا شك أن التشاؤم من الاعتقادات المخالفة لحسن التوكل على الله تعالى.

وقد جاءت الشريعة الخاتمة لتغرس في النفوس حُسْن التوكل على الله تعالى، ولتخلع من القلوب ما علق بها من الاعتماد على غير الله تعالى، قال ابن حجر: الطيرة هي التشاؤم. وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك، ولا شك أن التشاؤم من الاعتقادات المخالفة لحسن التوكل على

Upload by : altawhedmag.com

الله تعالى.

فها هم قوم صالح عليه السلام يقولون له: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ (النمل: ٤٧)، قال القرطبي في تفسير قولهم: «اطَّيَّرْنَا بكَ وَبِمَن مَّعَكَ» أي: تشاءمنا، والشؤم: النحس، ولا شيء أضر بالرأي، ولا أفسد للتدبر من اعتقاد الطِّيرة.

وهكذا قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١)، وقال تعالى مخبرًا عن أهل القرية: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يس: ١٨)، وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله:

قل للذي ملأ التشاؤم قلبه
ومضى يضيق حولنا الآفاق
سر السعادة حسن ظنك بالذي
خلق الحياة وقسم الأرزاق

وما عمت به البلوى: تشاؤم الكثير ببعض الأيام، وبعض الأشخاص، أو صنف من الطيور، كالغراب، والبومة، وبعض الأرقام، والتشاؤم من الوهن في العقيدة، وهو ينافي كمال التوحيد، وقد يصل بصاحبه إلى الوقوع في الشرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لكن صاحب العقيدة الصحيحة يُحسن التوكل على الله تعالى، موقنًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، والمسلم هو المتفائل بالكلام الطيّب، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم».

قال ابن حجر: هذه الإضافة: «وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» تشعر بأن الفأل من جملة الطيرة، وليست كذلك، بل هي إضافة توضيح، وفي حديث عروة بن عامر الذي أخرجه أبو داود، وذكره ابن حجر في الفتح، والنووي في رياض الصالحين، وصححه الألباني: أن الطيرة ذُكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد المسلم، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك".

> صاحب العقيدة الصحيحة يُحسن التوكل على الله تعالى، موقنا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

والدعاة إلى الله تعالى منوط بهم أن يُبصّروا الناس بما يقع بينهم من مخالفات لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ورحم الله أقوامًا لا يسكتون عن منكر، بل يدعون بالحكمة والموعظة الحسنة، خاصةً في زمان تضافرت فيه جهود أهل البدع لنشر بدعهم، وفُتحت لهم وسائل الإعلام ليل نهار لإيهام الناس بأن هناك بدعًا حسنة وأخرى سيئة!! وزينوا لهم أن ما هم عليه من طواف حول القبور، ودعاء للموتى، وحلف بالنبي، وغير ذلك من البدع الظاهرة، أن كل هذا من البدع الحسنة، وأن الدعوة إلى غير ذلك غلوّ وتشدّد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الأحزاب: ٢٢- ٢٤).

إعداد: د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

موقف المؤمنين والمنافقين من الأحزاب:

قلنا: إن من حكم البلاء الذي أصاب المسلمين يوم الأحزاب تمييز الخبيث من الطيب، والكاذب من الصادق، والمنافق من المؤمن، ولذلك لما عظم الخطب، واشتد الكرب يوم الخندق، وزلزلوا زلزالا شديدا، نجم النفاق، ونادى المنافقون بعضهم بعضا: «هَلُمَّ إِلَيْنَا»، «وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۖ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» (الأحزاب: ١٣). أما المؤمنون الصادقون فقد صبروا وصابروا ورابطوا، وصدقوا الله ورسوله، ولم يصدر منهم من الأقوال والأفعال إلا ما يرضي الله ورسوله. وقد حكى الله تعالى قولهم يومئذ على سبيل المدح والثناء فقال: «وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا» (الأحزاب: ٢٢).

فلما أثنى الله سبحانه وتعالى على عامة المؤمنين بصبرهم وثباتهم وتصديقهم الله ورسوله، أعقب الثناء على جميع المؤمنين الخلص على ثباتهم ويقينهم، واستعدادهم للقاء العدو الكثير يومئذ، وعزمهم على بذل أنفسهم، ولم يقدر لهم لقاؤه كما في قوله تعالى: «وكفى الله المؤمنين القتال» بالثناء على فريق منهم كانوا وفوا بما عاهدوا الله عليه وفاء بالعمل والنية، ليحصل بالثناء عليهم بذلك ثناء على إخوانهم الذين لم يتمكنوا من لقاء

Upload by : altawhedmag.com

العدوّ يومئذ، ليُعلم أن صدق أولئك يؤذن بصدق هؤلاء، لأن المؤمنين يد واحدة. (التحرير والتنوير ٢١/٣٠٦و٣٠٧).

فقال تعالى: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ» (الأحزاب: ٢٣) من الثبات مع الرسول-صلى الله عليه وسلم- والمقاتلة لأعداء الدين، وهم رجال من الصحابة-رضي الله عنهم- نذروا أنهم إذا لقوا حربًا مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا، وهم: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، وحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. ومعنى «صدقوا» أي: وفوا به، «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» تفصيل لحال الصادقين، وتقسيم لهم إلى قسمين.

والنحب هو النذر، وهو أن يلتزم الإنسان شيئًا من أعماله ويوجبه على نفسه. وقضاؤه: الفراغ منه، والوفاء به.

والمعنى: فبعضهم، أو فبعض منهم من خرج عن العهدة: كحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، عم أنس بن مالك، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، فإنهم قد قضوا نذورهم، سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر، وهو الموت شهيدًا، أو كان مستعارًا للالتزامه عليه. (إرشاد العقل السليم ٥/٢١٨و٢١٩).

سبب نزول الآية:

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- أن عمه غاب عن قتال بدر فقال: «غبت عن أول قتال قاتله رسول الله-صلى الله عليه وسلم- المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله كيف أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني: أصحابه، ثم تقدم فلقيه سعد. فقال: يا أخي ما فعلت أنا معك فلم أستطع أن أصنع ما صنع، فوجد فيه بضع وثمانون من ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فكنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت: «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر». (صحيح البخاري ٢٨٠٥).

وظاهر الحديث أن الآية نزلت يوم أحد. فإن كان كذلك فإن موضعها في سورة الأحزاب إنما هو بتوقيف من النبي-صلى الله عليه وسلم-، وإن كانت الآية نزلت مع بقية آي الأحزاب بعد الخندق فهي تذكير بما حصل من المؤمنين من قبل.

وقوله: «وما بدلوا» عطف على صدقوا، وفاعله فاعله. أي: وما بدلوا عهدهم وما غيروه، «تبديلا» أي: تبديلا ما، لا أصلا ولا وصفا، بل ثبتوا عليه راغبين فيه، مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون. (إرشاد العقل السليم ٥/٢١٩).

من حكم الابتلاء:

وقوله تعالى: «ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم» أي: إنما يختبر الله تعالى عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، كما قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ» (محمد: ٣١)، فهذا علم بالشيء بعد كونه، وإن كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده. وكذا قال تعالى: «مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ» (آل عمران ١٧٩). ولهذا قال هاهنا: «لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ» (الأحزاب: ٢٤) أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به،

Upload by : altawhedmag.com

ومحافظتهم عليه. ولم يبين هنا الجزاء، لكنه سبحانه قال في آخر المائدة: «قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (المائدة: ١١٩).

وقوله تعالى: «وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ» (الأحزاب: ٢٤)، وهم الناقضون لعهد الله، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكنهم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان. ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة قال: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الأحزاب: ٢٤). (تفسير القرآن العظيم ٤٧/٣).

الوفاء من الإيمان ونقض العهد نفاق وطغيان:

وهكذا ظهر جليًا أن الوفاء بالعهد من خصال الإيمان، وأن نقض العهد من خصال النفاق والطغيان، وقد شهد الله تعالى للموفين بعهدهم بالصدق، وشهد على الناقضين عهدهم بالكذب، فقال: «لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَالْمَلَٰئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧). وقال تعالى: «وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (التوبة: ٧٥-٧٧).

فضل الوفاء بالعهد وعقوبة نقضه:

وكثر في القرآن الكريم الأمر بالوفاء بالعهد وبيان أن جزاءه الجنة، كما كثر فيه النهي عن نقض العهد وبيان أن جزاءه النار: قال تعالى: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ» (البقرة ٤٠). وقال تعالى: «وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا» (الأنعام ١٥٢). وقال تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» (الإسراء: ٣٤).

وعن عبادة بن الصامت-رضي الله عنه- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: (اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم) (صحيح ابن ماجه: ١٠٢٩).

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفى له، وإلا لم يف له، ورجل ساوم رجلا بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أعطي بها كذا وكذا فأخذها). (صحيح البخاري ٢٣٥٨).

وفاء المسلم لكل ذي عهد:

وإذا كان الوفاء بعهد الله واجبًا، فإن الله-عز وجل- أمر عباده أن يفي بعضهم لبعض بكل ما يعاهد بعضهم بعضا عليه، لا فرق في ذلك بين عهد لمسلم، وعهد لكافر، فالفضيلة لا تتجزأ، والمدار على طبيعة العهد، فما دام خيرًا فإقراره حتم مع كل فرد، وفي كل حين، قال تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» (التوبة: ٤).

ونهى سبحانه عن الغدر بالمشركين وإن خيف منهم الغدر، فقال تعالى: «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ» (الأنفال: ٥٨).

وللحديث بقية إن شاء الله.

Upload by : altawhedmag.com

البدع والابتداع في الدين والتحذير منها

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: فقد تناولنا في المقال السابق لزوم اتباع منهج السلف، وبيّنا أن اتباع منهج السلف هو امتداد لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن من تمسك بالكتاب والسنة والتزم منهج السلف، أمن الوقوع في البدع والأهواء.

وموضوع هذه المقالة بعون الله وتوفيقه: البدع والابتداع في الدين والتحذير منها

تعريف البدعة:

(أ) بيان معنى ودلالات لفظ البدعة وما اشتُقَّ منها:

البدعة: اسم يُطلق على العمل المُحْدَث ذاته، والجمع بدع، ففي كتاب (العين): البدعة: «اسم ما ابتُدِعَ من الدين وغيره»، وفي (الصحاح): «البدعة الحدث في الدين بعد الإكمال».

(ب) المعنى الاصطلاحي للبدعة إجمالًا:

اختلفت عبارات الناس سلفًا وخلفًا في تعريف البدعة الشرعية تبعًا لاختلاف تصورهم لماهية البدعة المنهي عنها، وتنوع مشاربهم؛ فالذي تلبس ببدعة عملية أو اعتقادية يحاول أن يصنع تعريفًا للبدعة يتلاءم مع مسلكه، وهناك مَن التبس عليه فَهم بعض النصوص الواردة في السنة والبدعة، فوضَعَ تعريفًا أيضًا ملتبسًا؛ لأن الأمر قد التبس عليه في الفهم.

Upload by : altawhedmag.com

وهذا المعنى الاصطلاحي الذي نختاره كحدٍّ جامع مانع للبدعة المنهي عنها شرعًا، يلخص لنا ما ورد من نصوص شرعية، وأقوال مأثورة عن السلف في حوادث جزئية وحالات مفردة، أو بصيغ عامة وأقوال مطلقة مجملة أو مفصلة.

ومن هذه التعريفات الكلية الجامعة ما ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله في كتاب: (الاعتصام)؛ حيث بوَّب لتعريف البدعة بابًا مستقلًا، ذكر فيه معناها الاصطلاحي، وشرح التعريف وذكر محترزاته، وقد عرَّف البدعة بتعريفين.

بداية: عرفها -رحمه الله- على رأي مَن يقول بعدم دخول الابتداع في العادات والمعاملات، وإنما يخص هذا القائل البدعة بالعبادات فحسب؛ فبعض الناس يقول: إن العادات والمعاملات لا يدخل فيها الابتداع، والبعض يقول: إن العادات والمعاملات يدخل فيها الابتداع، وبناء على هذا الاختلاف عرَّف الشاطبي البدعة بتعريفين:

التعريف الأول: كان قائمًا على من يقول بأن البدعة تقع في العبادات فحسب.

وتعريف البدعة على ذلك قال فيها -رحمه الله-: «فالبدعة عبارة عن طريقة في الدين مُخترعة تُضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى».

أما التعريف الثاني: فكان قائمًا على رأي مَن يقول بدخول الابتداع في الأمور العادية كدخوله في الأمور العبادية.

قال رحمه الله: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يُقصد بالطريقة الشرعية».

هنا قال: يُقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية. وفي تعريفه لمعنى البدعة -على رأي من يخص البدعة بالعبادات- قال: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى.

شرح التعريف، وبيان محترزاته:

قوله: «طريقة» يقصد بها السبيل والسنة؛ فالطريقة هي السبيل والسنة، وكل ما رسم للسلوك عليه أو اتخذ للتعبد به، سواء كان في المسائل العلمية أو المسائل العملية؛ يعد طريقة.

أما قوله: «في الدين» فهذا تقييد للطريقة المسلوكة بأنها في الدين؛ لأنها فيه تخترع، وإليه تنسب، وبه يلصقها مخترعها؛ فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسمَّ بدعة.

أما قوله: «تضاهي الشرعية» يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك؛ بل هي مضادة لها، يعني: مضادة للطريقة الشرعية؛ لأنها خارجة عليها وإن شابهتها فإن صاحب البدعة إنما يخترعها -يعني: يأتي بها ويُحدثها- يُضاهي بها السُّنة، أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة؛ ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته؛ لأنه يظن أو يتخيل أنها من السنة؛ بل إن كل خارج عن السنة بشيء من الابتداع لا بد له من تكلُّف الاستدلال بأدلة السنة على خصوص هذه المسألة المبتدعة، وإلا لكذَّب إطراحه للدليل صدق دعواه، ونقَض تَركه للسنة ما يدعيه من الدخول فيها والكَوْن من أهلها.

وهذا في الحقيقة واقع؛ فالمبتدعة في كل زمان ومكان يحاولون أن يلصقوا بدعتهم بالسنة؛ بل إنهم يقولون: إنهم يلتمسون أقوالهم وأفعالهم وسائر ما أتَوا به من سنة النبي صلى الله عليه وسلم!!

هذا التعريف الذي ذكرناه وشرحناه الآن عن الإمام الشاطبي -رحمه الله تبارك وتعالى- يتفق مع تعريف مَن خص البدعة بالدخول على

Upload by : altawhedmag.com

العبادات.

أما تعريف البدعة لمن لم يخصها بالعبادات وأدخل فيها العادات وجعل العادات داخلة في التعريف: فقال فيه: يُقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

أما التعريف على من يقصر البدعة بالعبادات فحسب، فقال فيه: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله- تبارك وتعالى.

وعبارة: «يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى»: على رأي من يقول بأن البدع تدخل في العبادات.

معنى قوله: «يقصد بالسلوك عليها»: أي: أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة ويرغب في ذلك، وربما يستدلون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف: يعني: ما جاءنا في الشرع بعد أن أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة يكفينا عن أن نبتدع أو نحدث في دين الله-تبارك وتعالى-.

أما في التعريف الثاني فيدخل معها العادات، وقد قال في التعريف: «يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية».

والإمام الشاطبي-رحمه الله- عند شرحه لهذه العبارة الواردة في تعريفه قال: ومعناه: أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلهم وآجلهم: لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها: فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته: فإن تعلقت بالعبادات فإنما أراد بها أن يأتي تعبُّده على أبلغ ما يكون في زعمه، ليفوز بأهم المراتب في الآخرة في ظنه، وإن تعلقت بالعادات فكذلك: لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها.

وقد رجح الشاطبي-رحمه الله تبارك وتعالى- هذا التعريف الذي يقول بدخول البدع في العادات والمعاملات، وهذا الترجيح-أي: أن البدع تدخل في العادات والمعاملات- هو الصحيح الموافق لأدلة الشريعة والمتفق مع أصولها وقواعدها والمطابق لمقاصدها.

وقد لخّص-رحمه الله تبارك وتعالى- رأيه في هذه المسألة، وبيّن معنى القيد السابق بصورة أوضح حين قال: "ثبت في الأصول الشرعية أنه لا بد في كل عاديّ (أمور العادات) من شائبة التعبد: لأن ما لا يعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبدي، وما عُقل معناه وعُرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي: فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدية، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والإجارات والجنايات كلها عادية: لأن أحكامها معقولة المعنى، ولا بد فيها من التعبد: إذ هي مقيدة بأمور شرعية لا خيرة للمكلف فيها...

إلى أن قال: فإن جاء الابتداع في الأمور العادية من ذلك الوجه صح دخوله في العاديات كالعبادات، والا فلا...

وهو يقصد بقوله: فإن جاء الابتداع في الأمور العادية من ذلك الوجه: يعني: وجه تقييد العاديات بالأمور المشروعة، أما إذا لم تُقيّد العادات بالأمور المشروعة فهي مباحة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

لعلكم تهتدون..

هذا طريقك إلى الهداية

أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فمن أعظم المطالب وأجلّ الرغائب تحقيق الهداية وتحصيلها، والثبات عليها والازدياد منها، ولا أدلّ على ذلك من أننا نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم في كل ركعة من صلاتنا حين نقرأ في فاتحة الكتاب: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»، فسؤال الله الهداية خير ما يدعو به الإنسان، ويطلبه من الرحمن عز وجلّ، وقد ورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله». أخرجه الترمذي في سننه (ح٣٣٨٣) وحسنه، وابن حبان في صحيحه (ح٨٤٦)، والحاكم في مستدركه (ح١٨٣٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

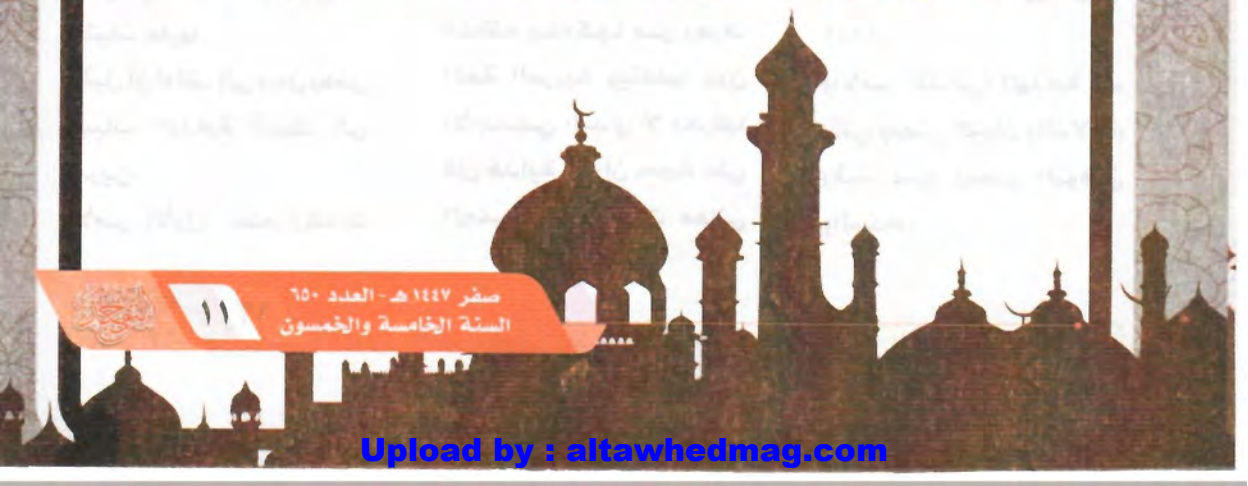

Upload by : altawhedmag.com

وللعلماء في توجيه أن الحمد أفضل الدعاء أوجه منها: أن الدعاء عبارة عن ذكر الله وأن تطلب منه الحاجة، والحمد يشملها؛ فإن الحامد لله إنما يحمده على نعمه، والحمد على النعم طلب المزيد.

وقيل: في قوله: "الحمدُ لله": تلميح وإشارة إلى سورة الفاتحة فإنها سورة الحمد، وفيها: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عليهم» وأي دعاء أفضل وأجمع وأكمل منه" (يُنظر: فيض القدير للمناوي ٢/٣٣).

والمتدبر لآيات القرآن الكريم لا يخطئه أن يجد فيها مواضع قد ختمها الله بقوله: «لعلكم تهتدون»، و«لعلهم يهتدون»، ونظائرهما في المعنى مما يستطيع أن يستنبط منه أسباب الهداية؛ نسأل الله ألا يحرمنا إياها، وأن يرزقنا الثبات عليها.

وقبل أن أدلف إلى بيان بعض أسباب الهداية أنبهك إلى أمرين:

الأمر الأول: اعلم-أرشدك

> القرآن الكريم مُعجز في هداياته ومعانيه، كما أنه مُعجز في أساليبه ومبانيه، فمن رام الهدى منه فقد أصاب وسعد، ومن أعرض عنه فقد ضل وهلك.

الله لطاعته- أن القرآن الكريم قد أنزله الله عز وجل لهداية الخلق، وأن هذه الهداية من أعظم مقاصده؛ قال الله تعالى: «وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (سورة النحل: ٦٤)، وقال تعالى: «إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ» (سورة الإسراء: ٩)، والقرآن الكريم مُعْجز في هداياته ومعانيه، كما أنه مُعْجز في أساليبه ومبانيه، فمن رام الهدى منه فقد أصاب وسَعد، ومن أعرض عنه فقد ضلَّ وهلك.

وإذا كانت بلاغة القرآن، وجودة نظمه، وإعجاز لفظه يدركها من يعرف اللغة العربية ويتقنها دون الأجنبي الذي لا يعرفها فإن هداية القرآن حجة على الجميع إذا ترجمت معاني القرآن وفُسِّر تفسيرًا مقبولًا، فالحجة هنا لا تتوقف على لفظه.

وذلك لأن "القرآن هو المعجزة المستمرة على تعاقب السنين؛ لأنه قد يدرك إعجازه العقلاءُ من غير الأمة العربية بواسطة ترجمة معانيه التشريعية والحكمية والعلمية والأخلاقية، وهو دليل تفصيلي لأهل تلك المعاني وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك" (التحرير والتنوير ١٠٥).

وقد حوى القرآن الكريم أصول الهدايات في شتى المجالات التي يحتاج إليها الخلق في صلاح دينهم من عقائد وعبادات ومعاملات وسلوك، والموفق من اجتهد في اقتناصها، واغتنامها، والاسترشاد بها وقد قال سبحانه: «قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا» (سورة الجن: ١-٢).

والأمر الثاني: الهداية قد تأتي بمعنى البيان والدلالة، وقد ترد بمعنى التوفيق والسداد:

Upload by : altawhedmag.com

فمن مجيئها بمعنى: البيان والدلالة قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ» (سورة الشورى: ٥٢)، وقوله تعالى: «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ» (سورة فصلت: ١٧)؛ أي: دللناهم وبيّنا لهم الحق، وأعلمناهم به لكنهم لم يتبعوه.

ومن مجيئها بمعنى التوفيق قوله تعالى: «لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ» (سورة البقرة: ٢٧٢)، وقوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ» (سورة القصص: ٥٦).

والفرق بين النوعين أن هداية الدلالة والبيان عامة؛ ولذا فقد أثبتها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، ويتبعه في ذلك الدعاة والعلماء، وأما هداية التوفيق فهي خاصة بالله عز وجل يمنحها لمن يشاء من عباده، وهي الهداية التي من أُعطيها فهو السعيد في الدنيا والآخرة، جعلنا الله منهم بمنّه وكرمه.

وهذه الهداية وإن كانت خاصة بالله لا يملكها غيره، ولم يجعلها بيد أحد سواه إلا أنه جعل لها أسبابًا فمن أخذ بها هداه الله ووفقه وسدّده.

> من اعتصم بالله، ولجأ إليه، واستمسك بدينه وكتابه هداه الله ووفقه.

وفيما يلي نذكر بعض الأسباب التي هي طريقك إلى الهداية، وسبيلك إلى الرشاد:

الاعتصام بالله عز وجلّ

من اعتصم بالله، ولجأ إليه، واستمسك بدينه وكتابه هداه الله ووفقه وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجلّ قوله سبحانه: «وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ» (سورة آل عمران: ١٠١).

قال الطبري في تفسيره (٦٣٤/٥): "يعني: ومن يتعلق بأسباب الله، ويتمسك بدينه وطاعته، «فقد هدي» يقول: فقد وُفّق لطريق واضح ومحجة مستقيمة غير معوجة، فيستقيم به إلى رضا الله وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته". و" وقيل: المعنى ومن يعتصم بالله أي يتمسّك بحبل الله، وهو القرآن" (تفسير القرطبي ١٥٦/٤).

اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته.

لقد بيّن الله عز وجلّ أن اتّباع نبيه صلى الله عليه وسلم وطاعته سبيل الهداية والطريق إلى تحصيلها فقال عز شأنه: «قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (سورة الأعراف: ١٥٨)، وقال سبحانه: «قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ» (سورة النور: ٥٤).

والله يبتلي عباده فيأمر وينهى؛ فمن اتبع وأطاع فهو من المهتدين، ومن كان منهم وُفق للثبات على الطاعة، والاستقامة فلم ينحرف عن الصراط المستقيم.

قال تعالى في شأن تحويل

Upload by : altawhedmag.com

القبلة: «وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ» (سورة البقرة: ١٤٣)، فالذين هداهم الله يسهل عليهم الاتباع وقبول الأحكام دون تردد أو تشكك.

الإيمان بالله والتسليم لأمره، وانشراح الصدر لدينه

من أسباب الهداية والثبات عليها والازدياد فيها: الإيمان بالله سبحانه والتسليم لأمره، وانشراح الصدر لتعاليمه، والانقياد لها: قال تعالى: «فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ» (سورة الأنعام: ١٢٥)؛ فالمهتدي يُوسِّع الله صدره للإسلام، وييسره له كما قال سبحانه: «وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ» (سورة الحجرات: ٧).

وكلما كان العبد أقوى إيمانًا، وأحسن طاعة؛ كان أعظم اهتداءً. قال تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (سورة الأنعام: ٨٢).

والمؤمن يهديه الله ويشرح صدره فلا تستقر الشبهات، ولا تمتلكه الشهوات، وصدق الله إذ قال: «مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» (سورة التغابن: ١١)، وقال تعالى: «وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (سورة الحج: ٥٤)؛ ولذلك مَن عرضت له شبهة تُشككه في دينه، أو تعترض عليه إيمانه فليقل: إني آمنت بالله، وليسلِّم أمره لمولاه فإنه يهديه ويشفيه؛ ويُبصره ولذا قيل: "آمِنْ تهتدِ".

Upload by : altawhedmag.com

الاستماع للوحي استجابة وقبولًا واتباعًا.

على المؤمن أن يستمع لما أنزل الله إليه، وأن يقبل عليه، ويتبعه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر: ١٧-١٨). والجمهور على أن المراد بالقول في الآية الكريمة القرآن الكريم، وأما معنى: «فيتبعون أحسنه»: ففيه أقوال: منها أن المعنى: فيتبعون الحسن وهو الطاعة، ويتركون القبيح وهو المعصية، وقيل: إنها القول اشتمل على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأمروا أن يأخذوا بالأحسن. (ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ١٥٣/٢).

سؤال الله الهداية:

من أعظم ما يُحقق لك الهداية أن تسأل الله إياها، وأن تكرر هذا السؤال، ومن

> كان النبي صلى الله عليه وسلم - وهو أهدى الناس علمًا وعملًا - يسأل ربه الهداية، ويُعلّم أصحابه ذلك.

ثم شرع لنا هذا الدعاء الجليل «اهدنا الصراط المستقيم» (سورة الفاتحة: ٦) في كل ركعة من صلاتنا نكرره في كل يوم وليلة بعدد ركعات الصلوات التي نصليها فرضًا كانت أو نفلاً.

وقد ذكر الله لنا أن الراسخين في العلم يدعون ربهم: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ» (سورة آل عمران: ٨).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم -وهو أهدى الناس علمًا وعملاً- يسأل ربه الهداية، ويُعلّم أصحابه ذلك؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم ربَّ جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» (أخرجه مسلم في صحيحه: ح٧٧٠).

وعن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل اللهم اهدني وسددني، واذكر، بالهدى هدايتك الطريق، والسداد، سداد السهم». وبلفظ آخر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل اللهم إني أسألك الهدى والسداد» (أخرجه مسلم في صحيحه: ح٢٧٢٥).

وفي حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين" (أخرجه النسائي في سننه (١٣٠٥)، وابن حبان في صحيحه (١٩٧١)، والحاكم في مستدركه (١٩٢٣)، وقال: صحيح الإسناد).

Upload by : altawhedmag.com

فلا تغفل- أيها اللبيب - عن هذا الدعاء، وكرِّره، وواظب عليه؛ فإنك إذا اهتديت فأنت على خير عظيم. وتضرَّع إلى ربك، وافتقر إليه، واعلم أن الهدى هداه، واذكر قول أهل الجنة-جعلنا الله منهم بمنه وكرمه-: «وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ» (سورة الأعراف: ٤٣)، واشْهَد قول رسولك صلى الله عليه وسلم: اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا (جزء من حديث البراء رضي الله عنه في حفر الخندق أخرجه البخاري (٢٨٣٧)، ومسلم (١٨٠٣)).

> من أسباب الهداية: العلم النافع فإن: العبد كلما ازداد علمًا ازدادت هدايته.

العلم النافع:

من أسباب الهداية العلم النافع فإن العبد كلما ازداد علمًا ازدادت هدايته؛ فإن العمل تابعٌ للعلم، والعلم قبل القول والعمل، والهداية هداية علمية وهداية العملية، والثانية ثمرة للأولى؛ ولذا فمن معاني سؤال الله الهداية أن يُبصِّرك بالهدى، ويُعلِّمك ما لم تكن تعلم من معالمها، فيُريك الحقَّ حقًّا، ويُريك الباطل باطلاً، ثم يُعينك على العمل بما علمتَ، فتتبع الحق، وتجتنب الباطل، وتسأله أن يُثبتك، ويزيدك.

قال تعالى: «وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (سورة الحج: ٥٤).

فهؤلاء يعلمون فيُورِّثهم العلم إيمانًا وإخباتًا، وهداية. نسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا هداة مهتدين. والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

في ليلة الخميس ٨ محرم ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠٢٥/٧/٣، تُوفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ موسى سيد علي، من مؤسسي فرع الكونيسة، محافظة الجيزة.

ومجلس إدارة المركز العام، ومجلة التوحيد، يتقدمون بخالص العزاء لأسرة المتوفى، وفروع الجمعية، سائلين الله تعالى له الفردوس الأعلى.

Upload by : altawhedmag.com

سُترة المصلي

إعداد الشيخ صفوت نور الدين
رحمه الله

الحمد لله أكمل دين الإسلام، وأتم به النعمة، ورضيه دينًا ومنهجًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه ومصطفاه برسالته، أما بعد:

فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: دفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالأبطح في قبة حمراء من أدم وكان بالهاجرة، ورأيت بلالاً خرج فنادى، فجعلت أتتبع فاه هاهنا وهاهنا بالأذان، ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه، ثم رأيت بلالاً دخل فأخذ عنزة(وهي العصا) فركزها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام الصلاة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء مشمرًا كأني أنظر إلى وبيص ساقيه، فركز العنزة ثم صلى إلى العنزة بالناس الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ورأيت الناس والدواب (وفي رواية الحمار والمرأة) يمرون بين يدي العنزة، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب من رائحة المسك. متفق عليه.

فيُستحب للمصلي أن يصلي إلى سترة، إمامًا كان أو منفردًا، لحديث أبي جحيفة المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم رُكزت له العنزة، فتقدم فصلى الظهر ركعتين يمر بين يديه الحمار والكلب لا يمنع، ولحديث طلحة بن عبيد الله عند مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصل ولا يبالي من وراء ذلك)، قال ابن قدامة: ولا نعلم في استحباب السترة خلافًا، أما المأموم فإن سترة الإمام سترة لمن خلفه لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أقبلت على حمار أتان، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض الصف، فنزلت

Upload by : altawhedmag.com

وأرسلت الأتان ترتع، ودخلت في الصف فلم ينكر عليَّ أحدٌ). متفق عليه.

ولذلك قال الترمذي في (سننه): والعمل على هذا عند أهل العلم. وبوب البخاري بقوله: سترة الإمام سترة لمن خلفه، أي أن صلاة الإمام والمأمومين صحيحة ما لم يمر شيء بين الإمام وسترته، ولا يضر صلاته مرور شيء بين يدي الصف. ولحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى جدار، فجاءت بهمة تمر بين يديه، فمازال يدارئها حتى لصق بطنه بالجدار، فمرت من ورائه. (والبهمة ولد الشاة، ويدارئها بالهمز: يدافعها). ولو أن سترته سترة لهم لكان مرورها من خلفه يضر من خلفه في صلاتهم.

أما عن مقدار السترة: فهي بقدر عظم الزراع وما قاربه. لحديث مسلم عن طلحة بن عبيد الله المذكور سابقًا- أما عن غلظها- فإن النبي صلى الله عليه وسلم استتر بالجدار واستتر بالسهم والحربة، فيجوز أن تكون دقيقة أو غليظة، وإن كان لفظ حديث أحمد: (إذا صلى أحدكم فليستتر لصلاته ولو بسهم)، يدل على أن ما كان أكبر من السهم طولاً وعرضًا أولى من ذلك.

وأما عن المسافة بين المصلي وسترته: فالسُّنة أن يقترب منها. لحديث أبي داود عن سهل بن خيثمة مرفوعًا: (إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته).

قال الخطابي: قال عطاء: أدنى ما يكفيك أن يكون بينك وبين السترة ثلاثة أذرع، وبه قال الشافعي وعن أحمد نحوه. وأخبر ابن المنذر أن مالك بن أنس كان يصلي يومًا متباينًا عن السترة، فمر به رجل وهو لا يعرفه، فقال: أيها المصلي أدن من سترتك، فجعل يتقدم وهو يقرأ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣). انتهى.

وفي (البخاري) قدّر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة، ثم ساق حديث سهل قال: (كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة).

ويجوز أن يكون سترته في إنسان أو حيوان كالبعير، لحديث البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض راحلته فيصلي إليها.

قال ابن قدامة في (المغني): فإن استتر بإنسان فلا بأس، لأنه يقوم مقام غيره من السترة. وقد روي عن حميد بن هلال قال: رأى عمر بن الخطاب رجلاً يصلي والناس يمرون بين يديه، فولاه ظهره، وقال: صل ولا تعجل. وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا لم يجد سبيلا إلى سارية من سواري المسجد قال: ولني ظهرك. انتهى.

أما حديث أبي داود عن ابن عباس مرفوعًا: (لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث)، فلا يصح لضعف سنده كما قال الخطابي، ثم قال: وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وعائشة نائمة معترضة بينه وبين القبلة، وأما الصلاة إلى المتحدثين فقد كرهها الشافعي وأحمد، وذلك من أجل أن كلامهم يشغل المصلي عن صلاته. انتهى.

أما عن الخط يتخذه سترة في الصلاة، فقد قال به أحمد- رحمه الله- لكن الحديث فيه ضعيف لا يصح، وقد أخرجه أبو داود وقال: قال سفيان: لم نجد شيئًا نشد به هذا الحديث، ولم يجيء إلا من هذا الوجه. قال النووي عند حديث: (أقل السترة مؤخرة الرحل)؛ واستدل القاضي عياض- رحمه الله تعالى- بهذا الحديث على أن الخط بين يدي المصلي لا يكفي، ثم قال النووي: فإن لم يجد عصًا أو نحوه جمع أحجارًا أو ترابًا أو متاعًا. وقد أنكر الخط أبو حنيفة ومالك والليث بن سعد والشافعي في (الجديد).

وحديث أبي داود عن المقداد بن الأسود قال: (ما

Upload by : altawhedmag.com

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى عود، أو عمود، ولا شجرة، إلا جعله عن حاجبه الأيمن، أو الأيسر، ولا يصمد إليه صمدًا)، فهو حديث ضعيف، انظر (جامع الأصول) رقم (٣٧٤٦)، و (ضعيف سنن أبي داود) رقم (١٣٤).

هذا وكره أهل العلم النار والتنور في القبلة، وكذا التصاوير، أو الثوب فيه تصاوير لحديث عائشة عند (البخاري): (أميطي عنا قرامك، فإنه لا يزال تصاويره تعرض لي في صلاتي).

قال ابن قدامة: وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع ما أيده الله تعالى به من العصمة والخشوع يشغله ذلك فغيره من الناس أولى. انتهى.

أما عن القبر يستقبله في صلاته فلا يجوز ذلك، وتحرم الصلاة، والإثم عظيم للنصوص الكثيرة في ذلك، والسترة مشروعة في الصحراء والبنيان، فحديث أبي جحيفة كان في فضاء، وحديث سهل كان في بناء، وفي الحديث عن سلمة بن الأكوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى الصلاة عند الأسطوانة (أي: السارية)، وقال البخاري: قال عمر: المصلون أحق بالسواري من المتحدثين إليها، ورأى عمر رجلاً يصلي بين اسطوانتين فأدناه إلى السارية فقال: صلِّ إليها.

قال الشوكاني في (نيل الأوطار): (فائدة): اعلم أن ظاهر أحاديث الباب عدم الفرق بين الصحاري والعمران، وهو الذي ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من اتخاذ السترة، سواء كان في الفضاء أم في غيره، وحديث: (أنه كان بين مصلاه وبين الجدار ممر شاة) ظاهر في أن المراد في صلاة في مسجده؛ لأن الإضافة للعهد، وكذلك حديث صلاته في الكعبة، فلا وجه لتقييد مشروعية السترة بالفضاء. انتهى.

السترة بمكة والسترة بالحرم:

نصوص أحاديث السترة لا تفرق بين مكة وغيرها إلا حديث أبي داود عن المطلب أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مما يلي باب بني سهم والناس يمرون بين يديه وليس بينهما سترة، قال سفيان: ليس بينه وبين الكعبة سترة، والحديث ضعيف، ولكن عند أحمد جواز ذلك في مكة والمسجد الحرام عند الطواف، ولعل ذلك عند تعذر السترة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لو صلى المصلي في المسجد الحرام والناس يطوفون أمامه لم يكره، سواء مر أمامه رجل أو امرأة. انتهى.

ولعل الاستثناء ليس أمرًا عامًا، وإنما لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦).

قال ابن حجر في (الفتح): أراد البخاري ألا فرق بين مكة وغيرها في مشروعية السترة، واستدل على ذلك بحديث أبي جحيفة، وهذا هو المعروف عند الشافعية، وأن لا فرق في منع المرور بين يدي المصلي في مكة وغيرها، واغتفر بعض الفقهاء ذلك للطائفين دون غيرهم للضرورة، وعند بعض الحنابلة جواز ذلك في جميع مكة. (انتهى بتصرف).

قال العيني في (العمدة): كل من يصلي في مكان واسع فالمستحب له أن يصلي إلى سترة بمكة كان أو غيرها، إلا أن يصلي بمسجد مكة بقرب الكعبة حيث لا يمكن لأحد المرور بينه وبينها، فلا يحتاج إلى سترة إذ قبلة مكة سترة له، فإن صلى في مؤخرة المسجد بحيث يمكن المرور بين يديه أو في سائر بقاع مكة إلى غير جدار أو شجرة أو ما أشبههما فينبغي أن يجعل ما يستره من المرور بين يديه).

قال الألباني في (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم) (ص٧٢) الطبعة السابعة:

السترة ووجوبها:

وكان صلى الله عليه وسلم يقف قريبًا من السترة، فكان بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع، وبين موضع سجوده والجدار ممر شاة، وكان يقول: (لا تصل

Upload by : altawhedmag.com

إلا إلى سترة، ولا تدع أحدًا يمر بين يديك، فإن أبي فلتقاتله فإنه معه القرين)، ويقول: (إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته)، وكان- أحيانًا- يتحرى الصلاة عند الأسطوانة التي في مسجده، وكان إذا صلى في فضاء ليس فيه شيء يستتر به غرز بين يديه حربة فيصلي إليها والناس وراءه، وأحيانًا كان يعرض راحلته فيصلي إليها، وهذا خلاف الصلاة في أعطان الإبل، فإنه نهى عنها، وأحيانًا كان يأخذ الرحل فيعد له فيصلي إلى آخرته، وكان يقول: (إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصلّ ولا يبالي من مر وراء ذلك، وصلى مرة إلى شجرة، وكان أحيانًا يصلي إلى السرير وعائشة رضي الله عنها مضطجعة عليه تحت قطيفتها، وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع شيئًا يمر بينه وبين السترة، فقد كان يصلي إذ جاءت شاة تسعى بين يديه فساعاها حتى ألزمه بطنه بالحائط، ومرت من ورائه، وصلى صلاة مكتوبة فضم يده، فلما صلى قالوا: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيئ ؟ قال: (لا، إلا أن الشيطان أراد أن يمر بين يدي فخنقته، حتى وجدت برد لسانه على يدي، وأيم الله لولا ما سبقني إليه أخي سليمان لارتبط إلى سارية من سواري المسجد حتى يطيف به ولدان أهل المدينة، فمن استطاع أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل)، وكان يقول: (إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره وليدرأ ما استطاع- وفي رواية: فليمنعه (مرتين)- فإن أبي فليقاتله، فإنما هو شيطان).

وكان يقول: (لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه ؟ لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يمر بين يديه)، وكان يقول: (يقطع صلاة الرجل إذا لم يكن بين يديه كآخرة الرحل والمرأة الحائض، والحمار والكلب الأسود)، قال أبو ذر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله ما بال الأسود من الأحمر؟ فقال: (الكلب الأسود شيطان).

أهمية السترة للمصلي:

قال النسائي في توضيح (الأحكام):

وللسترة فوائد منها:

١- أن اتخاذها هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريرية، وإحياء السُّنة واتباعها هو الصراط المستقيم.

٢- أنها تقي الصلاة القطع إن كان المار مما يقطعها عند من يقول بذلك ويقيها النقص إن كان ينقصها.

٣- أنها تحجب النظر عن الشخوص والروغان، لأن صاحب السترة يضع نظره دون سترته غالبًا، فينحصر تفكيره في معاني الصلاة.

٤- يعطي المصلي المجال للمارين فلا يحوجهم إلى المرور أمامه، أو الوقوف حتى ينتهي من صلاته.

٥- أن السترة تكون وقاية للمار من إثم المرور الذي يناله بسبب تنقص صلاة المصلي: انتهى.

جاء في (موسوعة الإجماع) قوله: إن الإجماع على أن يسن للمصلي أن يكون بينه وبين القبلة سترة من جدار أو سارية أو غيرها وأن يقف بحيث يكون بينه وبينها قدر إمكان السجود سواء صلى منفردًا أو إمامًا أو كان في السفر أو الحضر.

قال النووي في (المجموع): إذا صلى إلى سترة حرم على غيره المرور بينه وبين السترة ولا يحرم وراء السترة، وقال الغزالي: (يكره ولا يحرم)، والصحيح بل الصواب أنه حرام، وبه قطع البغوي والمحققون، واحتجوا بحديث: (لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه ؟ لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه). (متفق عليه). انتهى.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 2

نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

إعداد: د. السيد عبد الحليم محمد حسين
من قدامى علماء أنصار السنة المحمدية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى من اتبع هداه، إلى يوم أن نلقاه، وبعدُ؛

فنكمل حديثنا عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، فنقول مستعينين بالله:

حياته:

عاش ابن تيمية حياة جهاد الفكر، وحياة جهاد التتار، حتى توفي في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ عن نيف وستين عامًا، خصبة عريضة. تركت في الفكر الإسلامي آثارًا حية قوية، جددت هذا الفكر، وأتاحت له التفتح مرة أخرى، إلى عالم الحياة والتطور، والاجتهاد على تلك السنة المعروفة التي تتيح لهذا الفكر دومًا، مقاومة التحدي، والقدرة على مواجهة عوامل الضغط والتحريف.

١- يُعدّ ابن تيمية واحدًا من أولئك الأعلام الأفذاذ، من مجددي المفاهيم الذين جاؤوا على فترات، على امتداد الفكر الإسلامي، فأحيوا مفاهيم الإسلام وجددوها.

٢- أروع مثل لفكره يتمثل في قوله: «إن الفساد لم يأتِ من قبل النصوص.. فهي حق في معناها... ولا يحتاج إلى تأويل... وإنما جاء من حملها

Upload by : altawhedmag.com

على معانٍ فاسدة، ليست معانيها المُرادة بها».

٣- ابن تيمية كان استجابة حقة لتلك الأزمة التي واجهت الفكر الإسلامي.

وتواجه دائمًا، حين يقوم من يدعو إلى رأي منحرف، فيستغل النصوص، ويلوي أعناقها، محاولًا استغلالها.

والإسلام بعد ذلك سمح رحب، سائر بالحياة، متصل بها، مفتوح الآفاق على الفكر الإنساني كله، يأخذ منه ويترك، ويعطي له في حالات الامتصاص، والاقتباس.

٤- وما تزال آثار ابن تيمية تهدي المصلحين، والمجددين، والمجتهدين.

٥- أبرز التحديات التي واجهت ابن تيمية: ذلك الانحراف الذي أصاب بعض الناس في «عقيدة التوحيد» وانحدر إليها من مفاهيم أخرجتها عن سماحتها، وبساطتها، بما أدخل إليها من مبادئ الباطنية، وأفعال القرامطة، وآراء مزدك، وماني، وابن سبأ، ويتصل بهذا مسألة تأول النصوص، ومحاولة تأليه البشر، ومذاهب أهل الحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود.

ثقافته:

وبعد أن استقر ابن تيمية بدمشق، انصرف إلى طلب العلم وتحصيله، فحفظ القرآن الكريم، وعني بالحديث، وقرأ ونسخ، وتعلم الخط والحساب، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًا، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه، هذا كله، وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه.

١- قال الذهبي: «ما رأيته إلا ببطن كتاب». (معجم الشيوخ، للذهبي (٥٦/١)).

٢- قال السيوطي: «فإن برعت في الأصول وتوابعها عن المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل، ومجاراة العقول، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة، وأصول السلف، ولفقت بين العقل والنقل، فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية، ولا والله تقاربها». (ابن تيمية: لأبي زهرة، ص ١١٦).

٣- كان مضرب مثل في غزارة العلم، وسعة الاطلاع.

٤- قال ابن عبد الهادي: «وأما التفسير، فمُسلَّم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن، وقت إقامة الدليل بها على المسألة، قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحيَّر فيه، ولفرط إمامته في التفسير وعظم اطلاعه، يبيّن خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويُوهي أقوالًا عديدة، وينصر قولًا واحدًا موافقًا لما دل عليه القرآن والحديث». (العقود الدرية: لابن عبد الهادي، ص ٢٥-٢٦).

٥- قال الحافظ البرزالي: «وأما الحديث، فكان حامل رايته حافظًا له، مميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله متضلعًا من ذلك». (الرد الوافر: لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، ص ٢٠٥).

٦- قال ابن سيد الناس: «ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا». (الشهادة الزكية: لمرعي الكرمي، ص٢٦).

٧- قال الذهبي: «ما رأيت أشد استحضارًا لمتون الأحاديث منه، وعزوها إلى «الصحيح» أو «المسند» أو «السنن» كأن ذلك نُصْب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة شيقة حلوة، وإفحام للمخاطب». (الوافي بالوفيات: للصفدي (١٧/٧)).

٨- قال ابن عبد الهادي:

Upload by : altawhedmag.com

«يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله. غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي». (العقود الدرية، ص ٢٥).

٩- وأما في الفقه وأصوله: فقل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها أقوال الأئمة الأربعة، وأقوال المذهب الواحد إذا تعددت، أو مذهب الصحابة ومن بعدهم.. ولقد خالف المذاهب الأربعة في مسائل، واحتج لها بالكتاب والسنة، وقد ذكرها ابن الجوزي. (في الذيل على طبقات الحنابلة (٤٠٤/٢)).

١٠- قال ابن الزملكاني: «اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذهبهم منه، ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك». (الرد الوافر، ص ١٠٥).

١١- كان يتسامى عن التقليد، بحيث كان إذا أفتى لا يلتزم بمذهب بعينه، بل بما يقوم دليله عنده، وربما كان تساميه عن التقليد، وحريته في البحث، نتيجة لسعة علمه بالنقليات ووجوه دلالتها. (ابن تيمية السلفي: ص ٥٤). فهو من أصحاب الاجتهاد المطلق الذي لم يتقيد بمذهب من المذاهب. (شيخ الإسلام ابن تيمية: لمحمد لقمان السلفي، ص ٢٢٧).

١٢- لقد درس كل ما عرف في عصره من نحل ومذاهب دراسة واسعة عميقة، تحدوه إلى ذلك رغبة حارة في الوقوف على كنه هذه المذاهب، وإدراك حقائقها، فقرأ الفلسفة، ووقف على دقائقها، وكان يعرف الفلسفة اليونانية القديمة، وكذلك عرف المنطق الأرسطي، وكان على اطلاع واسع بجميع ما ألفه علماء الكلام من متقدمين ومتأخرين.

١٣- لقد كان ابن تيمية أديبًا شاعرًا، له أبيات وقصائد تدل على المستوى العالي، والأدب الإسلامي، في الصياغة والعرض، وحسن البيان.

وذكر الألوسي ستة عشر بيتًا لشيخ الإسلام بين فيها عقيدته الموافقة للكتاب والسنة منها:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي
رزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع كلام محقق في قوله
لا ينثني عنه ولا يتبدل

وقال في آخرها:

هذا اعتقاد الشافعي ومالك
وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل
فإن اتبعت سبيلهم فموفق
وان ابتدعت فما عليك معول

وقد وجد بخط الشيخ عدة أبيات قالها في سجنه بالقلعة، وعددها اثنا عشر بيتًا، ذكرها ابن القيم في المدارج. كان ابن تيمية بعث إليه في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات من نظمه.

١٤- لقد أحاط بكل تراث الفكر في عصره، وألم بجميع ألوان الثقافة العقلية من كلامية وفلسفية، ثم أعمل في ذلك كله عقله النافذ، وذهنه الجبار؛ فأخرج لنا من فلسفة نقدية في غاية القوة والخصوبة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

برهان محبة العبد لربّه تبارك وتعالى

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع
فرع اختاواي

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ سيدنا وقدوتنا وشفيعنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنّ النفوس جُبلت على حُبّ من أحسن إليها، وإحسان الله إلى العباد لا يدنو منه إحسان.

فكل نعمة نزلت بنا فهي من الله عز وجل؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣)، وقال عز وجل: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، وقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان: ٢٠).

فالله -عز وجل- تتابعت نعمهُ وزاد كرمه، وفاضل بره، وأسبغ على خلقه نعمه ظاهرة وباطنة حتى عجزوا عن إحصاء آلائه، من أجل ذلك وجب على كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يُقدّم حُبَ الله فوق كل محبوب مع كل نفس من أنفاسه. ولكن حبّ الله ليس مجرد كلمات تُقال، فرُبّ إنسان يدّعي محبة الله وهو ليس كذلك، وقد يظنُّ أنه قريبٌ من الله وهو منه بعيد.

وهناك علاماتٌ لذلك الحُبّ تُفرقُ بين الصادق والكاذب؛ فمن أحب الله حقًا ظهرتْ عليه علامات الحب، فإنّ الحُبَّ في القلب ولكنْ تظهرُ آثارهُ على البدن كله. لذلك يكونُ حُبُّ الله عزّ وجل اعتقادًا بالجنان، وقولًا باللسان وعملًا بالأركان يزيد بالطاعة وينقصُ بالمعصية. فمن هذه العلامات:

منها: طاعته سبحانه فيما أمر بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ومن أطاع الله فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر فهو مُحبٌّ لله، ومن عصى فليس بصادق ولو ادعى ذلك؟ وقد نفى الله التسوية بينها، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

Upload by : altawhedmag.com

فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (النمل: ٨٩-٩٠).

ومنها: اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء: أمر الله سبحانه بامتثال أوامر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واجتناب نواهيه، قال تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا» (الحشر: ٧)، وجعل الله سبحانه اتباع النبي صلى الله عليه وسلم عنوان محبته سبحانه، قال تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (آل عمران: ٣١).

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله».

وقال الحسن البصري رحمه الله: «زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم -أي: امتحنهم- بهذه الآية: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (آل عمران: ٣١). وكانوا يسمونها آية المحنة، أي: (الاختبار والامتحان)، فإذا صدقوا في دعواهم واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبهم الله عز وجل، وذلك أعظم لهم من أن يحبوه، قال بعض السلف: «ليس الشأن أن تُحِبَّ ولكن الشأن أن تُحَبَّ، أي ليس الشأن أن تحب الله، لأنه قد يكون حُبُّك هذا ادعاء، ولكن الشأن أن يُحِبَّك الله».

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره والتمسك بسنته هو شاهد صدق العبد في محبته لله، وكلما عظم الحب زاد الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، وكلما نقص الحب نقص الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم. فكل من يرجو الله واليوم الآخر، يجعل الرسول -عليه الصلاة والسلام- قدوته، وأسوته، فقد أمر الله تعالى بذلك حيث قال: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١).

وأهل الإيمان الحق يستمدون من الهدي النبوي كل أمورهم، فلا تستوي الأمور، وتستقيم السبل إلا بذلك، فبهديه عليه الصلاة والسلام يهتدون، وعلى ضوء سنته يسيرون، فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم سبب كل خير، وسبب الهداية التي هي أعظم غاية، قال تعالى: «وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (الأعراف: ١٥٨).

وسبب نيل رحمة الله تعالى الواسعة: قال تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ» (الأعراف: ١٥٦، ١٥٧).

وسبب الفلاح: قال تعالى: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ٥). وسبب محبة الله للعبد، وتلك هي الغاية التي شمر لها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون: فقد قال ربنا الكريم: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (آل عمران: ٣١): فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عنوان محبة الله سبحانه، فمن لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم متبعًا، لم يكن لله تعالى محبًا.

ولقد أحب سلف هذه الأمة سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، فعملوا بها، ودعوا إليها، وذبُّوا عنها، فكان هذا برهانًا ساطعًا على حبهم الله عز وجل. فهذا صديق الأمة رضي الله عنه، يقول: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ». (الإبانة: ٢٤٦/١).

وهذا فاروق الأمة رضي الله عنه يقول: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي يُقبلك ما قبلتك». متفق عليه.

وهذا ابن عمر رضي الله عنهما

Upload by : altawhedmag.com

وعن مجاهد، قال: «كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما فمرّ بمكان فحاد عنه، أي: تنحى عنه، وأخذ يمينًا أو شمالًا، فسُئل لم فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت». (صحيح الترغيب: ٤٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة، فيقيل تحتها، ويخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك». (صحيح الترغيب: ٤٧). (يقيل: من القيلولة).

وعن ابن سيرين، قال: كنت مع ابن عمر بـ «عرفات»، فلما كان حيث راح رحت معه حتى أتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر، ثم وقف معه وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى انتهينا إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي، فقال غلامه الذي يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضي حاجته. (صحيح الترغيب: ٤٨). الأولى يعني الظهر.

سبحان الله!! ما أعظم الاتباع، وما أصدق الحب.

ومن علامة محبة الله تعالى: قراءة القرآن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سرّه أن يُحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف». (صحيح الجامع: ٦٢٨٩).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان الله يُحبُّ أن يعلم أنه يُحبُّ الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن كان يحبُّ القرآن فهو يُحبُّ الله؛ فإنما القرآن كلام الله». وكان رضي الله عنه إذا أُهدي إليه المصحف يفرح به ويقول: «كلام ربي، كلام ربي».

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو ظهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم».

سبحان الله! أين المسلمون اليوم من هذا القرآن العظيم؟ لقد استبدل كثيرٌ منهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إنه صدق في هؤلاء قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠)؛ فإلى القرآن يا أمة القرآن، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه». (مسلم: ٨٠٤). إن القرآن تجارة لن تبور؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩ - ٣٠).

ومنها: الحبُّ في الله:

فإن من كمال الحب أن يُحب المُحبُّ كل ما يحبه المحبوب، وأن يُبغض كل ما يبغضه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله». (صحيح الجامع: ٢٠٠٩).

وبه كمال الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحبَّ لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان». (صحيح الجامع: ٥٩٦٥). قال يحيى بن مُعاذ: «الحبُّ في الله لا يزيد بالبِر، ولا ينقص بالجفاء». أي: لا يزيد بأمر من أمور الدُّنيا من الهدايا والعطايا، وإنما يزيد بالطاعة والهداية، ولا ينقص بالبعد والجفاء، وإنما ينقص بالمعصية والتقصير.

ومنها: الرضا بقضاء الله وقدره:

قال علقمة: المصيبة تصيبُ الرجل فيعلم أنها من عند الله فيُسلِّم لها ويرضا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط». (صحيح الجامع: ٢١١٠).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وأسألك

Upload by : altawhedmag.com

الرضا بعد القضاء». (صحيح الجامع: ١٣٠١). سأل الرضا بعد القضاء؛ لأنه حينئذ يبين حقيقة الرضا، وإنما الرضا قبل القضاء فإنه عزم من العبد على الرضا، وإنما يتحقق الرضا إذا وقع القضاء. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إن الله إذا قضى قضاء أحبَّ أن يُرضى به». وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "أصبحت وما لي سرورٌ إلا في مواقع القضاء والقدر". فمن وصل إلى هذه الدرجة كان عيشه كله في نعيم وسرور، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)؛ وما يعين على الرضا قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له».

ومنها: الإكثار من ذكر الله تعالى.

فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره، والمؤمن لا يفتر لسانه عند ذكر الله قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وقد أمر الله تعالى بالإكثار من ذكره فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)، قال الطبري: «يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرًا كثيرًا، فلا تخلوا أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك». (جامع البيان: ٢١٧/٢٢).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتي عليه وقت إلا وهو ذاكر لربه، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه» رواه مسلم.

وحسبك قول الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، قيل: ليس العجب قوله: «فاذكروني»، ولكن العجيب كله من قوله: «أذكركم»: فمحبة الله تعالى، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل: بحيث يكون هو وحده سبحانه المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا، والنعيم الذي لا يُشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين. تعلق القلب بالله وحده واللهج بذكره والقناعة من أسباب الزوال الهموم والغموم، وانشراح الصدر والحياة الطيبة، فإن نطق فبالله، وإن تكلم فعن الله، وإن سكن فمع الله، والضد بالضد، فلا أضيق صدرًا، وأكثر همًا، ممن تعلق قلبه بغير الله، ونسي ذكر الله، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (طه: ١٢٤- ١٢٧).

ومنها: حُبُّ الصلاة:

فتستشعر القلوب رهبة الوقوف في الصلاة بين يدي الله، فتختفي من أذهانهم جميع الشواغل عندما يشتغلون بمناجاة الجبار جل جلاله، وحينئذ تكون الصلاة راحة قلبية، وطمأنينة نفسية، وقرة عين حقيقية، كما كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم: «وجُعلت قرة عيني في الصلاة». (صحيح سنن النسائي: ٣٦٨٠).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها». (صحيح سنن أبي داود: ١٧١).

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

من نور كتاب الله

احذروا المعاصي

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف: ١٠٠.

من دعاء النبي ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهمّ ربّ جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» صحيح مسلم.

واحة التوحيد

من هدي النبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنظر معسرًا أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»

(سنن الترمذي)

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل ترون قبلتي ها هنا، فو الله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم وراء ظهري».

(صحيح البخاري)

من معاني الأحاديث

«لا يدخل الجنة قتات» هو النمام. يقال: قتّ الحديث يقتّه إذا زوّره وهيّأه وسواه. وقيل: النمام: الذي يكون مع القوم يتحدثون فينمّ عليهم. والقتات: الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينمّ. والقساس: الذي يسأل عن الأخبار ثم ينمّها.

(النهاية لابن الأثير)

من أقوال السلف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنّ الله تعالى يحبّ أن نتوسّل إليه بالإيمان والعمل الصالح والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم، ومحبّته وطاعته وموالاته».

(الرد على البكري).

Upload by : altawhedmag.com

من أنواع التوحيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنّ التوحيد الذي بعث الله به رسوله قولي وعملي: فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص «قل هو الله أحد». والتوحيد العملي «قل يا أيها الكافرون». ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر وركعتي الطواف.

(قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)

من فضائل الصحابة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عبدًا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبًا. فقال: يا رسول الله. ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت. لا يدخلها: فإنه شهد بدرًا"

(صحيح مسلم).

إعداد/د. علاء خضر

حكم ومواعظ

قال الإمام أحمد: "من صدق المتوكل على الله عز وجل أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء. فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً" (الآداب الشرعية)

أحاديث باطلة لا تصح

"الهوى مغفور لصاحبه ما لم يعمل به أو يتكلم".

منكر. أخرجه أبو نعيم في "الحلية".

من حكمة الشعر

قال ابن القيم-رحمه الله- في المحبة والذل لله تعالى:

حق الإله عبادة بالأمر لا
بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئا هما
سببا النجاة فحبذا السببان

(القصيدة النونية)

من تفسير السلف

قال ابن القيم رحمه الله:

إجابة عن هذا التساؤل: «قيل في قوله تعالى: «اصبروا وصابروا»: قيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله. (مدارج السالكين).

Upload by : altawhedmag.com

فقه الصلاة على الكرسي

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الصلاة ركن الإسلام الثاني، وآخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته، وإذا نظرنا في أبواب فقه المسلمين لرأينا باب الصلاة قد تصدَّر وعظم وأربى على غيره من الأبواب، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم أصحابه فقه الصلاة، فصلى بهم إمامًا وخاطبهم قائلاً: "صلوا كما رأيتموني أصلي". رواه البخاري.

وعلى هذا فواجب على كل مُصلٍّ متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في التعرُّف على كيفية صلاته ووصفها، وقد رأيت تراخيًا شديدًا من بعض المصلين خاصةً من أصحاب الأعذار، فيرخصون لأنفسهم صورًا وهيئاتٍ لا يستحقونها وهم أقدر على القيام بالعزيمة، فمن ذلك ما عمَّت به البلوى في مساجدنا بانتشار المقاعد فرادى وجماعية في المساجد، وفي الجالسين عليها القادرُ على القيام أو الركوع أو السجود، لكن البعض يُقلِّد بغير تحرٍّ ولا سؤال أهل العلم.

فلهذا أحببت أن أبيِّن وجه المشروعية في هذا الصنيع، ومنذ أكثر من خمسة عشر عامًا كتبت بحثًا بعنوان "صفةُ صلاةِ المُصلِّي على الكُرْسِي"، وأود أن أكتب ملخصًا حوله، ومن رام المزيد فليرجع إليه، وقد قسمته على مقالين.

Upload by : altawhedmag.com

الأول: في فقه الصلاة على الكرسي.

والمقال الثاني: في مخالفات يفعلها المصلي على الكرسي.

فأولا: بيان قواعد وأحكام تخص المصلي على الكرسي لا بد من معرفتها وهي:

القيام للفريضة فرض، لا يجوز الجلوس فيها للقادر.

القيام في الفرائض فرض بالإجماع، لا تصح الصلاة من القادر عليه إلا به. (المجموع ٢٥٨/٣).

قال القرطبي: وأجمعت الأمة على أن القيام في صلاة الفرض واجب على كل صحيح قادر عليه، منفردا كان أو إماما (تفسير القرطبي ٢١٧/٣، تحت آية (٢٣٨) البقرة).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال: "صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب" (صحيح البخاري ١١١٧). وبوب عليه البخاري بقوله: باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب.

> **من عجز عن القيام صلى على قدر استطاعته، ولا ينتقل من هيئة مشروعة إلى غيرها إلا عند العجز عن الإتيان بها.**

قال ابن عبد البر: هذا يبين أن القيام لا يسقط فرضه إلا بعدم الاستطاعة، ثم كذلك القعود إذا لم يستطع ثم كذلك شيء فشيء يسقط عند عدم القدرة عليه حتى يصير إلى الإغماء فيسقط جميع ذلك، وهذا كله في الفرض لا في النافلة. (التمهيد ١٣٥/١).

فمن عجز عن القيام صلى على قدر استطاعته، ولا ينتقل من هيئة مشروعة إلى غيرها إلا عند العجز عن الإتيان بها.

كما في حديث عمران السابق، وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرسا فصرع عنه، فجحش شقه الأيمن، فصلى لنا صلاة وهو جالس. صحيح البخاري (٨٠٥)، ومسلم (٤١١).

وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته وهو شاك، فصلى جالسا وصلى وراءه قوم قياما، فأشار إليهم أن اجلسوا، فلما انصرف قال: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا..." صحيح البخاري (١١١٣)، ومسلم (٤١٢).

قال ابن المنذر: وأجمع أهل العلم على أن فرض من لا يطيق القيام أن يصلي جالسا، أو على قدر طاقته إن عجز عن الجلوس. (الأوسط ٤٣١/٤).

وقال الباجي: فخص بهذا الخبر من الآية من لم يستطع القيام، وبقيت الآية على عمومها في المستطيعين. (المنتقى ٣١٩/١).

ويرخص في النافلة الجلوس؛ لكن إن جلس مع القدرة فله نصف أجر القائم، ولبعض أهل العلم توجيه جيد؛ وذلك في حق المفترض، والذي به نوع من العجز ويمكنه القيام لو تحامل على نفسه؛

Upload by : altawhedmag.com

فهذا إن جلس فله نصف أجر القائم، وهذا يؤكد ترغيب الشريعة في القيام حتى مع العجز الهين، أو به نوع من المشقة الغير مانعة مطلقًا.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلاَةِ الرَّجُلِ قَاعِدًا فَقَالَ:" مَنْ صَلَّى قَائِمًا فَهُوَ أَفْضَلُ، وَمَنْ صَلَّى قَاعِدًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ، وَمَنْ صَلَّى نَائِمًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَاعِدِ" صحيح البخاري (١١١٥).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "صَلاَةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلاَةِ". قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي جَالِسًا، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ:" مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو " قُلْتُ: حُدِّثْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قُلْتَ:" صَلاَةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا عَلَى نِصْفِ الصَّلاَةِ". وَأَنْتَ تُصَلِّي قَاعِدًا قَالَ:" أَجَلْ وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ" (صحيح مسلم (٧٣٥).

وشرط العجز أن يكون مؤثرًا؛ فيخشى إن قام زيادة مرضه، أو تأخر برئه، ولا يستطيع أن يقوم لأمر دنياه؛ فهذا يرخص له الجلوس.

ففي حديث عمران بن حصين وفيه: "صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا...".

فدل هذا النص على أنه لا يُنتقل من القيام إلى القعود إلا بعد فقد الاستطاعة، فصلاته الفريضة قاعدًا مع القدرة على القيام يُبطل صلاته. قال النووي في المجموع ٣/٢٥٨: فالقيام في الفرائض فرض بالإجماع، لا تصح الصلاة من القادر عليه إلا به حتى قال أصحابنا: لو قال مسلم أنا أستحل القعود في الفريضة بلا عذر أو قال القيام في الفريضة ليس بفرض كفر إلا أن يكون قريب عهد بإسلام.

قال الإمام الشافعي: وكذلك لا يكون له أن يصلي قاعدًا إلا من مرض لا يقدر معه على القيام، وهو يقدر على القيام إلا في حال الخوف التي ذكرت، ولا يكون له بعذر غيره أن يصلي قاعدًا إلا من مرض لا يقدر على القيام، وذلك أن الفرض في المكتوبة استقبال القبلة، والصلاة قائمًا؛ فلا يجوز غير هذا إلا في المواضع التي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها، ولا يكون شيء قياسًا عليه وتكون الأشياء كلها مردودة إلى أصولها والرخص لا يتعدى بها مواضعها. ثم قال: وإذا خوطب بالفرائض من أطاقها فإذا كان المرء مطيقًا للقيام في الصلاة لم يجزه إلا هو (الأم (٢/٥٠) باب: صلاة العذر).

قلت: والناظر في كلام العلماء يلاحظ أنهم لم يعتبروا أدنى مشقة أو تعب مسقط لفرضية القيام، ومن هنا نلحظ تهاونًا كبيرًا من بعض المصلين، فربما تراه قائمًا في عمل الدنيا الساعات الطوال، فإذا دخل المسجد بحث عن أقرب مقعد فيه.

نلحظ تهاونًا كبيرًا من بعض المصلين، فربما تراه قائمًا في عمل الدنيا الساعات الطوال، فإذا دخل المسجد بحث عن أقرب مقعد فيه.

Upload by : altawhedmag.com

ومن هنا قال ميمون بن مهران عندما سُئل: ما علامة ما يصلي المريض قاعدًا؟ قال: "إذا كان لا يستطيع أن يقوم لدنياه فليصل قاعدًا" أخرجه عبد الرزاق (٤١٢٦)، وابن أبي شيبة ٢/٤٩٠٤٨. وإسناده صحيح.

وصفة جلوس العاجز عن القيام: أنه يشرع له أن يصلي متربعًا، أو يجلس مفترشًا أو متوركًا كهيئة جلوسه في الصلاة؛ فإن عجز صلى محتبيًا -والاحتباء: أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليه. فعن عائشة قالت: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي متربعًا. أخرجه النسائي في سننه (٣/٢٢٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٧٨- ١٢٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٥١٢)، وللحديث شواهد يتقوى بها.

وصفة القاعد متربعًا: أن يجعل باطن قدمه اليمنى تحت الفخذ اليسرى، وباطن اليسرى تحت اليمنى مطمئنًا، وكفيه على ركبتيه، مفرقًا أنامله كالراكع. (سبل السلام ٢/٢٩٠).

> صفة جلوس العاجز عن القيام: أنه يشرع له أن يصلي متربعًا، أو يجلس مفترشًا أو متوركًا كهيئة جلوسه في الصلاة.

قال ابن المنذر: وإذا كان كذلك كان للمريض أن يصلي فيكون جلوسه كما سهل ذلك عليه، إن شاء صلى متربعًا، وإن شاء محتبيًا، وإن شاء جلس كجلوسه بين السجدتين. كل ذلك قد روي عن المتقدمين (الأوسط ٤/٤٣٤).

فإذا صلى قاعدًا ثم صح أو وجد خفة: تمم ما بقي. وهذه العبارة: هي ترجمة البخاري على الحديث.

فعن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسًا فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته نحوٌ من ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأها وهو قائم، ثم يركع ثم يسجد، يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك... (أخرجه البخاري (١١١٩)، ومسلم (٧٣١).

فإذا زال العذر الذي من أجله صلى قاعدًا: لزمه القيام كلما وجد خفة، فالتيسير مناط بوجود الرخصة، فإن زالت وجبت العزيمة، وجماع ذلك قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" (أخرجه البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (١٣٣٧).

فإن شق كل ذلك عليه فله أن يجلس على دكان أو كرسي، وقد ذكر محمد بن نصر أنه كان لأبي برزة دكان يجلس عليه ويدلي رجليه ويصلي (مختصر قيام الليل (٢٠٦).

وأما هيئة الركوع والسجود للجالس: فإنه يومئ برأسه، ويجعل سجوده أخفض من ركوعه. أما الإيماء فقد

Upload by : altawhedmag.com

وردت فيه أحاديث صريحة في حق المفترض، وأخرى يُستدل بها وهي في حق المتنفل، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أنه كان يصلي النافلة على راحلته يومئ برأسه قبل أي وجه توجه " (أخرجه البخاري (١٠٩٦)، ومسلم (٧٠٠).

وعن طارق بن شهاب عن ابن عمر قال: عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه مريضًا، وأنا معه، فدخل عليه، وهو يصلي على عود، فوضع جبهته على العود، فأومأ إليه فطرح العود، وأخذ وسادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعها عنك. يعني الوسادة - إن استطعت أن تسجد على الأرض، وإلا فأومئ إيماء واجعل سجودك أخفض من ركوعك" أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٩/١٢- برقم: ١٣٠٨٢)، صحيح بطرقه وشواهده.

قال ابن المنذر: على المريض أن يصلي على قدر طاقته.

> على المريض أن يصلي على قدر طاقته، فإذا صلى قاعدًا وهو عاجز عن القيام وأمكنه الركوع والسجود، لم يجزه إلا أن يأتي بذلك على قدر ما يمكنه.

فإذا صلى قاعدًا وهو عاجز عن القيام وأمكنه الركوع والسجود، لم يجزه إلا أن يأتي بذلك على قدر ما يمكنه، فإن لم يقدر على السجود، أومأ برأسه يبلغ بالإيماء ما أمكنه، فإذا بلغ من الإيماء ما أمكنه، فرفع إليه عودًا أو مخدة فرأى في جبهته بعد بلوغه من الإيماء بمقدار إمكانه فلا شيء عليه ويجزيه؛ لأنه قد أتى من الإيماء قدر طاقته، فليس يضره ملاقاة العود أو المخدة، ومما مسته جبهته في هذا الحال، وإن قصر عما يمكنه من الإيماء لما رفع إلى جبهته من العود أو غيره لم يجزه ويجزيه السجود على المخدة، وإن أمكنه السجود على الأرض فأكره له ذلك، وأجعل سجوده على المخدة بمنزلة سجوده على ربوة من الأرض، ويجعل إذا كان سجوده وركوعه إيماء السجود أخفض من الركوع. الأوسط (٣٨٢/٤).

وأما كيفية استواء القاعد مع الصف في الجماعة، فقد وردت أحاديث كثيرة تأمر بمساواة الصف وتلاصقه، واكتماله الأول فالأول، وأحاديث أخرى تتوعد من يخالف هذه السنة ويحدث في الصف فروجًا. فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ" (البخاري (٧٢٣) ومسلم (٤٣٣).

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ ". وفي رواية: كان رسول الله يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنِّي

Upload by : altawhedmag.com

أراكم من وراء ظهري". وكان أحدنا يُلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه البخاري (٧٢٥). وزاد معمر في روايته: ولو فعلت ذلك بأحدهم اليوم لنفر كأنه بغل شموس، هي النَفور من الدواب الذي لا يستقر ولا يسكن لشغبه وحدّته. انظر النهاية ٥٠١/٢. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١): وسنده صحيح أيضًا على شرط الشيخين وعزاها الحافظ لسعيد بن منصور، والإسماعيلي.

بالنظر في الأحاديث السابقة نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم حثَّ على التسوية، ووضع لها ضوابط وعلامات؛ ولأن الناس يتباينون في الخَلْق لم يجعلها على صفة واحدة، فباستقراء الروايات نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل المساواة بالآتي: المناكب، الأقدام، الكعوب، الركب، الأعناق، الصدور؛ بالأقدام، وانما يحاذي بالمنكب والعنق على نفس استقامة المجاورين له، فعند القيام يساوي بقدميه، وعند الإيماء بالركوع والسجود يجعل منكبه مساوٍ لمنكب أخيه في الصلاة، كي لا يتقدم عن الصف أو يتأخر.

> **عند التأمل في أحاديث السنة نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على تسوية الصفوف، ووضع لها ضوابط وعلامات.**

فالصحيح يفعل ما يقدر عليه من المساواة بهذه، والاختلاف طولًا وقصرًا معفو عنه إذا تحقق ببعضه، أما الجالس فأرى فيه تفصيلًا، وقد جهدت لأجد كلامًا لأهل العلم في المسألة فلم أظفر به.

ولكني أُخرِّج المسألة على ضوء ما تقدم فأقول:

المريض لا يخلو من حالات:

١- مريض قادر على القيام، ويعجز عن الركوع والسجود، فهذا وجب عليه القيام؛ فيستوي في الصف على قدميه، والمحاذاة تكون كمحاذاة الصحيح لا يتقدم ولا يتأخر. وعند عجزه عن الركوع والسجود يومئ، وهنا لا عمل لقدميه، فالمحاذاة لا تكون

٢- مريض يعجز عن القيام في صلاته كلها؛ فإنه إذا جلس على الكرسي؛ فإنه لا يساوي بالقدم كما تقدم، وانما تكون المساواة بالأكتاف أو المناكب والأعناق، فبعض المصلين إذا جلس على الكرسي جعل المحاذاة بالقدم مع أنه لا يستعمل قدميه في صلاته؛ فسقطت المساواة بها، فالذي يلزمه أن يحاذي بمنكبيه؛ لأنه لو حاذى بقدميه تأخر عن الصف، ولم يتحقق سد الخلل في الصلاة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

قصة من أحوال الطرقية والخطيب العريان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت وانتشرت في مراجع الصوفية. والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد: الشيخ/ علي حشيش

أولًا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- هذه القصة اشتهرت وانتشرت عند الطرقية لورودها في كتاب «الطبقات الكبرى» للشيخ عبد الوهاب الشعراني المولود سنة (٨٨٩هـ) هذا الكتاب صار لشهرته مرجعًا ومنهجًا للطرقية حتى قال مؤلفه في مقدمة كتابه: «هذا الكتاب لخَّصت فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يُقتدى بهم في طريق الله عز وجل إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر».

٢- ثم بيَّن الغاية والمقصود فقال: «ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير».

ثانيًا: متن قصة الخطيب العريان:

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب «الطبقات الكبرى» (١٢٩/٢) ط. صبيح - ميدان الأزهر وفي طبعة أخرى لنفس كتاب «طبقات الأولياء للشعراني» (١٢٢/٢)

Upload by : altawhedmag.com

ط المطبعة الشرفية بالخرنفش بمصر سنة (١٣١٥هـ): أي منذ (١٣٢ سنة) حتى لا يتقول علينا متقوّل فبيننا وبين القوم القوائم.

المتن: قال الشعراني: «ومن الأولياء الشيخ إبراهيم العريان رضي الله تعالى عنه ورحمه. كان رضي الله عنه إذا دخل بلدًا سلم على أهلها كبارًا وصغارًا بأسمائهم حتى كأنه تربّى بينهم. وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عريانًا»، وذكر عددًا من المساجد في وقت واحد يخطب فيها ويحصل للناس بسط عظيم. كما يقول الشعراني ثم ذكر أنه مات سنة: اثنين وثلاثين وتسعمائة. وذكر لقياه له وتسليمه عليه في حياته.

ثالثًا: التحقيق:

١- وإن تعجب فعجب أن يقول الشعراني عن وليه إبراهيم العريان: «إنه كان يطلع المنبر ويخطب عريانًا». وهذه ولاية ابتداع ليس فيها ذرة اتباع. وحسبنا هذا الحديث المتفق عليه. والذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح (٢٦٩٧) و«الإمام مسلم» ح (١٦١٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ».

٢- وأهل الحديث والسنة قاعدتهم: «من أراد الوصول فعليه بالأصول»، وأصول الإسلام بيّنها الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» في شرحه لحديث: «إنما الأعمال بالنيات ...» ينقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات»، وحديث عائشة: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وحديث النعمان بن بشير: «الحلال بين والحرام بين». اهـ.

٣- ومن العجب أن يجعل الشعراني التعري وطلوع المنبر والخطابة عريانًا من كرامات وليه إبراهيم العريان.

والكرامة عند أهل الحديث والسنة يبيّنها الإمام ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» (١٠٦/٢) قال سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «أعظم الكرامة لزوم الاستقامة». وبيّن سبب ذلك فقال: «فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين. وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله. قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة. فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة». اهـ.

قلت: وحسبك قول رب العزة في الآية (١٥) من سورة الشورى طلب الله لنبيه أمرًا بالاستقامة: «فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ»... الآية.

٤- وحسبك أن أهل الاستقامة هم أهل الولاية: لاشتراكهم في البشرى. فالله سبحانه وتعالى قال: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (سورة الأحقاف: ١٣). وقال سبحانه: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

Upload by : altawhedmag.com

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس:٦٢-٦٣). فمن كان مؤمنًا تقيًا فهو لله تعالى ولي.

ولهذا تصبح شعب الإيمان مقياس أولياء الرحمن. وحديث شعب الإيمان جاء في أعلى مراتب الصحة فهو متفق عليه، فقد أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٩)، والإمام مسلم في «صحيحه» ح(٣٥) من حديث الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه: «الإيمان بضع وستون شعبة، أو بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

- فأين الحياء عند ولي الشعراني العريان؟!

٥ - وهذا كتاب الشعراني الذي يقول عنه: «هذا كتاب فيه طبقات الأولياء الذي يُقتدى بهم في طريق الله». فهل حقق الشعراني مقصوده من كتابه الذي يقول عنه: «مقصوده فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال» ا.هـ.

قلت: فهل هذه هي آداب المقامات والأحوال، أم هي أوحال المقامات والأحوال؟!

٦- أين الحياء الذي أفرده النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر في شعب الإيمان عند أصحاب المقامات والأحوال وكرامات وليهم إبراهيم العريان في طلوعه المنبر وخطبته عريانًا، هل هذه كرامة الذي يستحي من عنده ذرة حياء أن يذكرها ولا أجد ردًا على هذا الصنيع إلا ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٦١٢٠) من حديث أبي مسعود وهو البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

وإن تعجب فعجب أن يجزم الشعراني لوليه إبراهيم العريان في بدء كلامه وانتهائه بالكرامة، وقوله رضي الله عنه في حين أن رضا الله مقيد بالحياء والخشية، واقرأ إن شئت قول الله تعالى في الآية (٨) من سورة البينة: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ»، فأين الخشية التي تستلزم الرضا لمن يقف على المنبر عريانًا؟!

ويقول الإمام القرطبي في «تفسيره» في سورة الأعراف الآية (٣١) قال في تفسير قوله تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ»... الآية. الأولى قوله تعالى: «يا بني آدم» خطاب لجميع العالم، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عريانًا، فإنه عام في كل مسجد للصلاة لأن العبرة للعموم لا للسبب. اهـ. ثم قال: الثانية: دلت الآية على وجوب ستر العورة كما تقدم. وذهب جمهور أهل العلم إلى أنها فرض من فروض الصلاة. وقال الأجهري هي فرض في الجملة. وعلى الإنسان أن يسترها عن أعين الناس في الصلاة وغيرها. اهـ.

فائدة: ولسائل أن يسأل لماذا أفرد النبي صلى الله عليه وسلم الحياء بالذكر في حديث شعب الإيمان.

يجيب عن هذا الإمام ابن حجر في «الفتح» (١/٦٨): «فإن قيل لم أفرده بالذكر هنا أجيب بأنه كالداعي إلى باقي الشعب. إذ الحيي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر، والله الموفق» ا.هـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

Upload by : altawhedmag.com

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ/ علي حشيش

«آجال البهائم كلها وخشاش الأرض في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قضى الله أرواحها، وليس إلى ملك الموت منها شيء».

الحديث لا يصح؛ أورده الإمام السيوطي في مخطوطة «درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث».

وقال «أبو الشيخ في العظمة عن أنس».

قلت «أبو الشيخ في العظمة» ترمز إلى كتاب «العظمة» للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (٢٤٧/٣٦٩هـ)، وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث «موضوع».

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على حدّ «الحديث الموضوع» لا بد من بيان معناه الاصطلاحي.

الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترهيب وغيره، إلا مقرونًا ببيان وضعه. ا. هـ كذا في «تدريب الراوي» (١/١٧٤) (النوع ٢١) للإمام السيوطي.

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من خلال التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة لعلم المصطلح التطبيقي.

أولًا: «التخريج»

الحديث أخرجه الإمام الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «العظمة» ح(١٢٣٢) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي، حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا الوليد بن موسى القرشي، حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن الحسن عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آجال البهائم...» الحديث.

ثانيًا: «التحقيق»

هذا الحديث علته: الوليد بن موسى القرشي.

١- قال الإمام العقيلي في كتاب الضعفاء الكبير (٤/٣٢٦/١٩٢٣): «الوليد بن موسى الدمشقي القرشي عن الأوزاعي أحاديثه بواطيل لا أصول لها، ليس ممن يقيم الحديث» ا.هـ.

قلت: وأخرج له هذا الحديث بنفس الطريق طريق الوليد بن موسى القرشي عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن الحسن عن أنس مرفوعًا، ثم قال الحافظ العقيلي: «هذا الحديث لا أصل له عن الأوزاعي ولا غيره».

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣/٨٢): «الوليد بن موسى شيخ يروي عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن الحسن، ولا أصل له من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم».

٣- ولذلك أخرج هذا الحديث الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٢٢٢) من طريق العقيلي، وقال: هذا حديث موضوع، والمتهم به الوليد بن موسى، وأقر ما قاله العقيلي وابن حبان.

إذن الحديث موضوع ولا يصح بأقوال أئمة الجرح والتعديل.

Upload by : altawhedmag.com

الصحابة ومكانتهم

إعداد الشيخ /إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فالحديث عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم حديث مُحبَّب إلى النفوس المؤمنة، فهؤلاء الصحابة-رضوان الله عليهم- آمنوا بالله ورسوله واتبعوا النور الذي أنزل معه، فكانوا مصابيح هداية، ومنارات هدى، فحملوا رسالة الله تعالى إلى خلق الله، حتى بلغوا بالإسلام مشارق الأرض ومغاربها، فكل من دخل الإسلام من أهل هذه البلاد التي فتحها الصحابة الكرام هو في ميزان حسناتهم وأعمالهم الصالحة، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، كما ورد بذلك الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعد قلبه، فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم يقاتلون على دينه...». رواه أحمد في المسند بإسناد حسن، وقيل: إنه موقوف على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فكان لهم-رضوان الله عليهم- الذكر الحسن والأثر الطيب، زكاهم الله في القرآن الكريم، ورضي عنهم؛ فهنيئًا لمن سلك طريقهم واتبع سبيلهم وأحبهم، وترضى عنهم واقتدى بهديهم واستن بسنتهم، ففي الحديث الشريف: "عليكم بسُنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ". رواه أبو داود والترمذي من حديث العرباض بن سارية، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فالصحابة-رضوان الله عليهم جميعًا- خير القرون، كما روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..".

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قوله: "خير الناس" دليل على أن قرنه خير الناس، فصحابته أفضل من الحواريين الذين هم أنصار عيسى عليه السلام وأفضل من النقباء السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام". اهـ.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سبّ أصحابه أو الوقوع في أعراضهم، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الأنصار: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا

Upload by : altawhedmag.com

يُبْغِضُهُمْ إلا مُنافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

والصحابة-رضوان الله تعالى عليهم جميعًا- كانوا هم الواسطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمّتهم، فمنهم تلقّت الأمة عنه الشريعة والدين، وهم الذين نشروا الفضائل بين هذه الأمة من الصدق والنصح والأخلاق والآداب التي اجتمع لهم منها ما لا يجتمع لغيرهم، فمدحهم الله في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (الفتح: ٢٩). وقال تعالى عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

وبالجملة فإن الله عز وجل اختار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لصحبة نبيه وإقامة دينه، فهم صفوة الخلق بعد النبيين، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (النمل: ٥٩)، قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، اصطفاهم الله لنبيه، رضي الله عنهم. انتهى من تفسير ابن كثير.

واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اختص من بين أصحابه الخلفاء الراشدين من بعده: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا، رضي الله عنهم جميعًا، كما في حديث العرباض بن سارية، فإن أبا بكر رضي الله عنه يأتي في مقدمة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فهو رضي الله عنه أول من سارع بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبرسالته، ودعوته التي جاء بها من عند الله، لم يتوانَ ولم يتأخر ولم يُسوّف، وانما شرح الله صدره للإسلام واستقبال ما جاء من الله عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم هو-رضي الله عنه- صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه في رحلة الهجرة، وأثبت الله له صحبته لنبيه عليه الصلاة والسلام، حيث قال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

فلم تتحقق الصحبة في شخص كما تحققت في أبي بكر رضي الله عنه، فقد فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه وولده، كما في الحديث الذي رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا: فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك». قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقال عمر قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا». (حسنه الألباني في صحيح الترمذي).

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه كان الخليفة الأول للرسول صلى الله عليه وسلم، والذي حمل رسالة الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وتصدى لمانعي الزكاة والمرتدين الذين انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه». جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة، في باب الإيمان.

ثم يأتي بعد أبي بكر الصديق: الفاروق عمر أمير المؤمنين، رضي الله عنهما، ذلكم الملهم المحدث والذي أجرى الله تعالى الحق على قلبه ولسانه.

Upload by : altawhedmag.com

ونزل القرآن في كثير من المواقف يؤيد كلامه، رضي الله عنه. وفي صحيح البخاري: عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».

وفي صحيح البخاري أيضًا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: ما سمعتُ عُمَرَ رضي الله عنه لشيءٍ قطُّ يقولُ: إني لأظنُّهُ كذا إلا كان كما يظنُّ. وقد امتدت دولة الإسلام في خلافته، وقد مضى الله في عهده على دولتي فارس والروم، وساد العدل في عهده حتى ضرب به المثل في العدل، رضي الله عنه، فهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبيبه بعد الصِّدِّيق أبي بكر. وفي البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عليًا رضي الله عنه قال عند وفاة أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه: رحمك الله، كُنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا».

ثم يأتي ذو النورين عثمان بن عفان، صهر النبي صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنتيه: أم كلثوم، ورقية، رضي الله عنهما، وكان من العشرة المبشرين بالجنة، وقد هاجر الهجرتين، وجهز جيش العُسرة، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم». رواه الترمذي، وصححه الألباني، وقال ابن حجر في فتح الباري (باب: مناقب عثمان بن عفان)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ: فَلَهُ الْجَنَّةُ، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ». وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في عثمان: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة». رواه مسلم، وأحمد، عن عائشة رضي الله عنها.

وهذا يدل على مكانة عثمان عند الله؛ لأن الملائكة ما استحيت منه إلا لذلك، رضي الله عنه.

ثم يأتي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو آخر الخلفاء الراشدين المهديين بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة، رضي الله عنها، أسلم صبيًا، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدينة أن يقيم بعده بمكة حتى يؤدي عنه الأمانات التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبات على فراشه مُعَرِّضًا نفسه لسيوف المشركين الذين كانوا يتربصون لقتل النبي صلى الله عليه وسلم. وهاجر رضي الله عنه إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، وأُحُد، والخندق، وغيرها من المشاهد، وأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر، وأخبر أن الفتح سيكون على يديه رضي الله عنه، وتولى خلافة المسلمين بعد أمير المؤمنين عثمان.

فرضوان الله على جميع صحابة نبينا الذين زكاهم الله في القرآن في مواضع كثيرة منها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، والصحابة رضوان الله عليهم هم أول من خُوطبوا بهذا القرآن، وقال عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، والوسط من كل شيء أعدله، وهكذا كان صحابة النبي رضوان الله عليهم.

ويقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

نسأل الله أن يجعلنا ممن اتبعوهم بإحسان، وجمعنا الله بهم في الفردوس الأعلى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

Upload by : altawhedmag.com

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

إطلاق لفظ (الحدّ) على الله بين النفي والإثبات

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فعلى نحو ما أثارت المصطلحات السالفة الذكر - (الجهة - الحيّز - المكان) الكثيرَ من اللَّغط الذي قد يصل إلى حد إطلاق الكفر على مُجيزيها ولو صح حمل معناها في إثبات صفات (الفوقية والعلو والاستواء) مع الإقرار بأنها ألفاظ مبتدعة؛ أثار مصطلح (الحدّ) نفس اللغط. ولخطورة هذا الأمر وحساسيته في مسائل الاعتقاد نسوق كلام المحقق والمدقق ابن أبي العز في شرحه لمقولة الإمام الطحاوي المصري: (وتعالى عن الحدود والغايات... إلخ). فقد تناول العلامة ابن أبي العز هذه المقولة بالتقدمة والشرح والتحليل جامعًا لأطراف هذه القضية؛ وقائلًا:

"أذكُرُ بين يدي الكلام على عبارة الشيخ-رحمه الله- مقدمة، وهي: أن الناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تُثبتها، وطائفة تُفصّل وهم المتّبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبين، ما أثبت بها فهو ثابت، وما نُفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم؛ فيها إجمال وإبهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي، ولهذا كان النفاة ينفون بها حقًا وباطلًا، ويذكرون عن مُثبتيها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يُدخل لها معنًى باطلًا، مخالفًا لقول السلف، ولما دلّ عليه الكتاب والميزان، ولم يرِدْ نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

فالواجب أن يُنظَر في هذا الباب، أعني: باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي، فنُثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني.

وأما الألفاظ التي لم يرِدْ نفيُها ولا إثباتُها فلا تُطلَق حتى يُنظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحًا قُبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد، والحاجة مثل: أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يُخاطب بها، ونحو ذلك.

والشيخ-رحمه الله- أراد الرَدَّ بهذا الكلام على المشبهة، كداود الجواربي وأمثاله القائلين: إن

Upload by : altawhedmag.com

الله جسم، وانه جثة وأعضاء وغير ذلك! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فالمعنى الذي أراده الشيخ-رحمه الله- من النفي الذي ذكره هنا حق، لكن حدث بعده مَن أدخل في عموم نفيه حقًا وباطلًا، فيُحتاج إلى بيان ذلك:

وهو: أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدًا، وأنهم لا يحدُّون شيئًا من صفاته، قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة: لا يحدُّون ولا يشبِّهون ولا يمثِّلون، يروُون الحديث ولا يقولون: كيف؟، واذا سُئلوا قالوا بالأثر، وسيأتي في كلام الشيخ: (وقد أعجز خلقه عن الإحاطة به) ما يفيد ذلك، فعُلم أن مراده: أن الله يتعالى عن أن يحيط أحد بـ: (حدِّه)، لا أن المعنى: أنه متميز عن خلقه منفصل عنهم مباين لهم، وهو ما يسوغ معه إثبات (الحدّ)، فقد سُئل عبدُ الله بن المبارك: بم نعرفُ ربَّنا؟ قال: (بأنه على العرش، بائن من خلقه)، قيل: بـ: (حدٍّ)؟ قال: (بحدٍّ)، انتهى.

١ - إشكالية إطلاق لفظ (الحدّ) على الله وإثباته له:

ومن المعلوم أن (الحدّ) يقال على: ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه، فـ: (الحدُّ) بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته..

وأما (الحدُّ) بمعنى: العلم والقول، وهو أن يحدَّهُ العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة.

قال أبو القاسم القشيري في رسالته: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، سمعت أبا منصور بن عبد الله، سمعت أبا الحسن العنبري، سمعت سهل بن عبد الله التُستَري يقول، وقد سُئل عن ذات الله فقال: (ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حدٍّ ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهرًا في مُلكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلَّهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية)" ا.هـ من كلام شارح الطحاوية بتصرف يسير.

وهذا الكلام من ابن أبي العز يحتاج إلى بيان وبسط، فنقول وبالله التوفيق: إن لفظ (الحدّ) يحمل في طياته معنى صحيحًا لا يجوز نفيه عن الله، كما أنه يحمل معنى باطلًا لا يجوز إثباته بحقه تعالى، وعليه فإن النفي الذي قصد إليه الشيخ الطحاوي إنما أراد به "الرد على طائفتين:

الأولى: المجسمة والمشبهة الذين يصفون الله بأن له جسمًا وجثةً وأعضاء وغير ذلك: تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

والأخرى: المعطلة كالأشعرية والمتكلمة الذين ينفون علوَّه تعالى على خلقه وأنه بائن من خلقه، بل يصرح بعضهم بأنه موجود بذاته في كل الوجود، وهذا معناه: حلول الله في مخلوقاته، وأنه مُحاط بالجهات الست المخلوقة وليس فوقها: فنفى المؤلف ذلك بهذا الكلام، ولكن قد يستغل ذلك بعض المبتدعة ويتأولونه بما قد يؤدي إلى التعطيل كما بينه الشارح رحمه الله تعالى" ا. هـ من تعليقات الشيخ الألباني على الطحاوية.

ومنه يتبين أن من أراد بنفي اتصاف الله تعالى بـ: (الحدّ): نفي فوقيته وعلوّه سبحانه وبينونته من خلقه فنفيُه باطل.. أمّا من كان مبنى مراده على إثبات (الحدّ): إثبات فوقيته تعالى وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه، فهذه أمور ثابتة بحقه تعالى، وبه يصح اتصافه تعالى بـ: (الحدّ) لأنه في معنى ما سبق من إثبات العلو: مع الوضع في الاعتبار أن هذا اللفظ وما جاء على شاكلته من الألفاظ المجملة المبهمة التي تحتاج إلى استفصال: وليست من الألفاظ المتعارفة من قبل أهل السنة والجماعة.. وإنما سبى لمن كان هذا حاله: التلفظ بها: رد عادية المعطلة ومن على شاكلتهم من الأشعرية وعموم أهل الكلام في نفيهم

Upload by : altawhedmag.com

العلو والفوقية والاستواء وما شابه، ومثل هذا لا يجوز تكفيره ولا تفسيقه بحال من الأحوال ولا النيل من عقيدته بأي شكل من الأشكال، وعليه يُحمل كلام الإمام الطحاوي وأقوال عموم سلف الأمة وأئمة أهل السنة.

ولمفتي المملكة الأسبق فضيلة الشيخ ابن باز رحمه الله في دفاعه عما تكلم به الإمام الطحاوي رأي معتبر، أعرب فيه عن أن كلام الشيخ فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته؛ وليس لهم بذلك حجة، لأن مراده رحمه الله: تنزيه الباري سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل - يعني على الوجه السالف الذكر - حتى يزول الاشتباه، فمراده بنفي (الحدود) يعني: التي يعلمها البشر، فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه، لأن الخلق لا يحيطون به علمًا كما قال عز وجل في سورة طه/ ١١٠: «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا». ومن قال من السلف بإثبات (الحدّ) في الاستواء أو غيره فمراده: حدٌ يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه العباد" ا.هـ.

٢- أما أهل السنة ابن المبارك وابن حنبل:

يثبتان (الحد) على الأوجه السالفة الذكر:

ولا أدل على صحته: مما ساقه ابن أبي العز عن عبد الله بن المبارك ت١٨٢، وقد سُئل: بمَ نعرفُ ربَّنا؟ قال: (بأنه على العرش، بائن من خلقه)، قيل: بـ: (حدٍّ؟)!، قال: (بحَدٍّ).. وكان الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١ قد أطلق القول بذلك في رواية المروذي، وذُكر له قول ابن المبارك: (نعرف ربنا على العرش بحد)، فقال: (بلغني ذلك) وأعجبه.. ذكر ذلك أبو يعلى الفراء في كتابه إبطال التأويلات ص٤٤٩ ط. دار الكتب العلمية، كما ذكر بنفس الصفحة قول الأثرم، قال: (قلت لأحمد: يُحكى عن ابن المبارك: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه بحدٍّ، فقال أحمد: هكذا هو عندنا).

وقد أورد أثر ابن المبارك: عبدُ الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة (٢١٦) قال: "حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال: سمعت علي بن الحسين بن شقيق يقول: سمعت عبد الله - يعني: ابن المبارك - يقول: (إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية) قال: (وسمعته يقول: نعرف ربنا عز وجل فوق سبع سماوات على العرش بائن من خلقه بحدٍّ، ولا نقول كما قالت الجهمية هاهنا، وأشار بيده إلى الأرض).. والبيهقي في الأسماء ص٥٨٠ وان تأول قوله: ب: (حدّ السمع) أي: النقل.

وكان ابن عبد البر قد حكى في التمهيد ٤/ ٥٥ ما بسببه كانت شناعة ونكارة ابن المبارك في قوله: (إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية)، وما بسببه كفّر وكيعٌ بشر المريسي في قوله: (إنه تعالى في كل شيء)، فقيل له: وفي قلنسوتك هذه؟ قال: (نعم)، قيل له: وفي جوف حمارك؟، قال: (نعم) تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

كما أورد أثر ابن المبارك بألفاظ متقاربة وأسانيد صحيحة: الدارمي ت٢٨٠ في الرد على الجهمية (٦٧، ١٦٢) وفي الرد على المريسي (ص ٢٤، ١٠٣)، وابن بطة ت٣٨٧ في الإبانة الكبرى (٧/ ١٥٨)، وابن عبد البر في التمهيد ٤/ ٥٥، وابن القيم في اجتماع الجيوش (ص٤٤) وقال في مكان آخر (٨٤): "وقد صح ذلك عنه صحة قريبة من التواتر". ومن قبله شيخه ابن تيمية في الحموية وفي (بيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٤٥) وقد قال معلقًا: "هذا اللفظ لم يثبت به صفةٌ زائدةٌ على ما في الكتاب والسنة، بل بيّنا به ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته لخلقه وثبوت حقيقته". كذا بما يعني: أن إثباته إنما هو بيان لمعنى شرعي في نفس الأمر وان كان الشرع لم يعبّر عنه بهذا اللفظ.

وفي ترجمة لشيخ الإسلام عبد الله بن المبارك: يذكرُ الحافظ الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار ص١١٠ - وهو بالمختصر ص١٥١ - أثر ابن شقيق السالف الذكر، ويضيف إليه رواية أخرى عن أفلح بن محمد، وفيها قوله: قلت لابن المبارك: إني

Upload by : altawhedmag.com

لأكره الصفة، عنى: صفة الرب تبارك وتعالى، فقال: (وانا أشد الناس كراهة لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، واذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه) كذا بما يعني: كراهة البدء بوصف الله بشيء من تلقاء أنفسنا حتى يجيء بذلك الكتاب والآثار، الأمر الذي يعكس أنه ما نطق بما نطق به من التلفظ بـ: (الحد) إلا كراهة ألا يجد أهل السنة ما يردون به عادية المعطلة.

٣- أهل العلم يشترطون في إثبات الحد (بلا كيف):

ومعلوم بالضرورة أن من أثبت الحد لله تعالى على النحو الذي رأينا عند ابن المبارك وأحمد وغيرهما، إنما أوكل كيفيته إلى الله تعالى، فهو جل في علاه له حدٌّ لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه ولا حتى لحدّ عرشه غاية في نفسه، ولكن يؤمن بـ: (الحدّ) ويكل علم ذلك إلى الله. ومما ينبئ بنفي الحدّ إذا كان المراد والمقصد من الكلام إثبات الكيف: ما أورده اللالكائي في شرح السنة ١/ ٣٣١ والحافظ الذهبي في العلو ص١٣٠ وهو بالمختصر ص١٩٠ من رواية حنبل بن إسحاق، قال: قيل لأبي عبد الله ما معنى: «وهو معكم»؟ قال: علمه، علمه محيط بالكل، وربُّنا على العرش بلا حدٍّ ولا صفة. "أراد - رحمه الله - بنفي الصفة: نفي الكيفية والتشبيه، وبنفي الحدّ: نفي حدٍّ يدركه العباد ويحدُّونه" كذا ذكره محمد بن الموصلي في استعجال الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص٤٤٩. ولا يظنّن ظان أن في كلام الإمام تعارض أو تناقض وإنما كان النفي من جهة والإثبات من جهة؛ ومن هنا وبانفكاك الجهة صح النفي والإثبات.

وان كان لي من رأي فإنه يتمثل في عدم التهاون من الاستفصال في مثل هذه الأمور، إذ لا مناص من القول به، لرفع ما يوهم التناقض حتى في قول الواحد من أئمة أهل السنة، وأيضًا لأن المعطلة قد غالوا في تكفير أهل السنة بسببها، ولا سبيل في الذبّ عمن أثبت من أئمة أهل السنة (الحد والمكان والجهة) ونظائر ذلك؛ سوى الاستفصال.

أما ما يقع من خلاف بين معاشر أهل السنة وأئمتهم فالأمر جدّ سهل، فإن الخلاف بين أهل السنة في مثل هذه الصفات لا يرجع الى المعاني الثابتة أو المنفية بالشرع؛ إذ الكل يُقرُّ بالمعنى الصحيح وينفي المعاني الباطلة. ومع هذا فلا يقال لمن أطلق هذه الألفاظ: إنه غالٍ في الإثبات، كما لا يقال لمن نفاها بحجة أن الباب توقيفي: إنه معطل. اللهم إلا أن تكون هناك قرائن تبيّن مقصوده ومراده.

فالاتفاق على المعاني مع الاختلاف في إطلاق الألفاظ لا يُوجب أن يكون المُثبِتُ مجسّمًا أو مشبّهًا إلا أن يُثبت مع ذلك معنى باطلًا يُنزّه الله عنه، والتوسع في الألفاظ -التي ربما تكون مرادفة للفظ الشرع أو مفسّرة له؛ أو المعاني التي تكون لازمة للصفة أو مضمّنة في المعنى لا يُتصوّر إثبات الصفة بدونها- لا يلزم منه أن يكون المُثبتُ مشبّهًا ولا مجسّمًا، بل قد يكون النافي هنا للمعنى؛ مُبطلًا للصفة أو متناقضًا في نفيه ما لا يصح إثبات الصفة بدونه.

فكما لم يلزم مَن توسع في الأسماء الحسنى أن يكون مشبّهًا مجسّمًا بإثبات أسماء لم ترد كذلك في الشرع وهي ألفاظ تدل على معاني تليق بجلال الله؛ بل قد يكون معطلًا ينفي الصفات. فكذلك لا يلزم مَن أطلق هذه الألفاظ على معاني شرعية؛ أن يكون مشبّهًا مجسّمًا إذا كان ينفي المعنى الباطل ويُثبت المعنى الصحيح.

ذلك أن أهل العلم ذمّوا إطلاق القول بالنفي أو الإثبات في الألفاظ المحدثة المُجملة قبل الاستفصال عن معناها عند قائلها، وقبل ردّ القول في ذلك إلى المحكم الثابت من الكتاب والسنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: "إذا مُنع إطلاق هذه المجملات المحدثات في النفي والإثبات، ووقع الاستفسار والتفصيل؛ تبيّن سواءُ السبيل".

وللحديث بقية إن شاء الله.

Upload by : altawhedmag.com

وصية نبوية غالية

إعداد: الشيخ/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

مع وصية نبوية من قام بها قام بربع الإسلام، وجمع كثيرًا من آداب الخير في كل زمان، وكان قلبه سليمًا مطمئنًا بالإيمان، فعاش في سعادة وسلام، وفي الآخرة في ظل عرش الرحمن ويزحزح عن النيران، ويدخل الجنة بسلام وأمان. عن أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» صحيح البخاري (١٣)، صحيح مسلم (٤٥).

أولًا: بعض أقوال العلماء عن هذا الحديث

(١) ربع الإسلام: قال أبو داود السجستاني يدور الإسلام على أربعة أحاديث (إن الحلال بين والحرام بين)، حديث (إنما الأعمال بالنية)، وحديث (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) هذه الثلاثة وحديث (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). عمدة القاري (١/٢٩٩).

(٢) من جوامع آداب الخير: جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وقوله -صلى الله عليه وسلم- للذي اختصر له الوصية لا تغضب، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. والله أعلم. شرح النووي على مسلم (٢/١٩).

ثانيًا: الوصية وبعض المعاني:

عن أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» صحيح البخاري (١٣)، صحيح مسلم (٤٥).

(١) معنى: "لا يؤمن أحدكم": يعني لا يكون مؤمنا حقا تام الايمان إلا بهذا الشرط: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، وما يحب لنفسه، من ترك الشر، يعني ويكره لأخيه ما يكره لنفسه، هذا هو المؤمن حقا، وهذا الحديث يدل على أن من كره لأخيه ما يحبه لنفسه أو أحب لأخيه ما يكره لنفسه فليس بمؤمن، يعني ليس بمؤمن كامل الإيمان. ويدل على أن ذلك من كبائر الذنوب إذا أحببت لأخيك ما تكره لنفسك أو كرهت له ما تحب لنفسك. (شرح رياض الصالحين ٢/٥٨٩).

(٢) معنى حتى يحب لأخيه (أخوة الإسلام والإيمان): الحديث نقيسه بالشمول وعموم الإسلام كله، (حتى يحب لأخيه)، وليس المراد بأخيه ابن أمه وأبيه أو أخوه من الرضاع أو أخوه لأب أو لأم، بل المراد أخوة الإسلام (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات: ١٠). شرح رياض الصالحين لعطية سالم (٢/٣٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم» صحيح مسلم (٢٥٨٠).

(٣) معنى (ما يحب لنفسه) في هذا الحديث:

Upload by : altawhedmag.com

عن أنس، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» سنن النسائي (٥٠١٧) وصحيح الجامع (٧٠٨٥). ما يحب لنفسه: من جميع أمور الخير له، ويكره له الشر.

ثالثا: من فوائد وفضائل العمل بهذا الحديث في الدنيا:

(١) سلامة القلب من الغل والحقد والحسد: حديث أنس يدل على أن المؤمن يسرُّه ما يسرُّ أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير، أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله. جامع العلوم والحكم (١/ ٣٣٠)؛ وذلك سهل على القلب السليم، إنما يعسُر على القلب الدغل. عافانا الله. شرح النووي (٢/ ١٧).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات» صحيح مسلم (٢٥٦٤).

(٢) لا شحناء ولا بغضاء: فقوله -صلى الله عليه وسلم-: (يحب لأخيه ما يحب لنفسه) هذه صفة لو طبقت لعمت المحبة وسادت الألفة؛ لأنه إذا أصبح كل إنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه فلن يحصل اعتداء، ولا ظلم، ولا بغي، ولا حسد، ولا حقد، ولا غل، ولا سخرية، إلى آخر الشرور، وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الحديث بيانا عمليا، لما جاءه شاب يستأذنه في الزنا، عن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: "ادنه، فدنا منه قريبا". قال: فجلس قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. مسند أحمد (٢٢٢١١)، وصححه الأرناؤوط، والسلسلة الصحيحة (٣٧٠).

(٣) تحسين الأخلاق: المتأمل في هذا الحديث، يجده قاعدة عظيمة تنبع من خلالها كثير من الأخلاق. فإن من يعامل الناس على أساس أن يحب لهم ما يحب لنفسه تماما فإنه سيعاملهم حتما بكل خلق رفيع؛ لأن هذا هو ما يجب أن يعامله الناس به إذ يحبه لنفسه. ومن هنا يجد نفسه مثلا مدفوعا إلى الصبر على أخيه المسلم كلما دعت ظروف التعامل إلى الصبر، لأنه يحب من الناس أن يصبروا عليه. كلما بدر منه ما لا يقبله الناس إلا بصبر. ويجد المسلم نفسه مدفوعا إلى العفو والصفح والمسامحة والتغافل عن الهفوات والسيئات. كلما وجد من إخوانه ما يسوءه من تصرفاتهم معه. لأنه يحب من الناس أن يعاملوه بالصفح والعفو والمسامحة. كلما بدر منه من تصرفات تسوء إخوانه. وكذلك أنواع المعاملة من ستر العيوب والنصح سرا وكره الغيبة فهو يحب أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به.

(٤) نشر المحبة بين الناس: عن أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»: عندما تشعر بأن فلانا يخاف عليك ولا يؤذيك

Upload by : altawhedmag.com

ويعاملك معاملة طيبة، تشعر ناحيته بالحب والاحترام والتقدير والمكانة العالية في قلبك وتعامله بالمثل وتنتشر السعادة بين الناس.

(٥) يستيقظ الضمير: يعلم أنه لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحبّ لنفسه، وبذلك يستيقظ الضمير في نفوس البشر فلا تجد حقداً ولا حسداً، ولا غشاً، ولا سرقة، ولا تدليساً. الأربعين النووية لعطية سالم (٣/٤١)

رابعا: من فوائد المحبة لأخيك في الآخرة:

(١) عدم الخزي والفضيحة يوم القيامة: لأن قلبه سليم: قال تعالى: "وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ" (الشعراء: ٨٧- ٩٠).

-صاحب القلب السليم هو الذي جاء وصفه في حديث عبد الله بن عمرو، قال: قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أيُّ الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد» سنن ابن ماجه (٤٢١٦) صحيح الجامع (٣٢٩١).

(٢) الزحزحة عن النار ودخول الجنة: قال تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" (آل عمرن: ١٨٥).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: فمن أحبّ أن يُزحزح عن النار، ويُدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحبّ أن يؤتى إليه. صحيح مسلم (١٨٤٤).

خامسا: كيف أصل إلى أن أحب لأخي ما أحب لنفسي:

(١) تنمية الشعور بالغير: ضع نفسك مكان الآخرين: قبل أن تتصرف أو تحكم على شخص ما، حاول أن تتخيل نفسك في موقفه وظروفه. هذا سيساعدك على فهم دوافعه واحتياجاته. وتضع نفسك مكان غيرك دائما، وتسأل: "هل أرضى أن يُفعل بي هذا؟" فإن لم ترضه لنفسك، فلا تفعله بغيرك. فمثلاً: إذا أحببت أن تُعامَل بلطف، فكن لطيفاً مع غيرك. إذا كرهت أن يغتابك أحد، فلا تغتب أحدًا. وهكذا.

(٢) تمهّل في الحكم على الناس: «عن أبي هُرَيْرَة، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» صحيح البخاري (٦٤٧٥) وصحيح مسلم (٤٧).

(٣) عامل الناس كما تحب أن يعاملوك:

قال تعالى: "وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" (النساء: ٩).

كما تحب أن يُعامل أولادك فعامل أولاد الناس بتقوى الله والكلام الذي يرضى الله.

(٤) المحاسبة الدائمة للنفس: ينبغي للمؤمن أن يرى نفسه دومًا مُقصرًا عن الدرجات العالية، فيستفيد بذلك أمرين نفيسين: الاجتهاد في طلب الفضائل، والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص، وينشأ من هذا أن يحبّ للمؤمنين أن يكونوا خيرًا منه، لأنه لا يرضى لهم أن يكونوا على مثل حاله، كما أنه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل يجتهد في إصلاحها. جامع العلوم والحكم (١/٣٠٩)

(٥) الدعاء: اجعل في دعائك حظًا لإخوانك، كما تحب أن يكون ذلك لك، قال تعالى: "وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" (الحشر: ١٠). غلًا أي: غشا وحسدا وحقدا وبغضا.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

أحسن الحديث

إعداد: الشيخ/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن القرآن الكريم هو أفضل الكُتب وأجلُ المواثيق وأحسن القصص، وأحسن الأحاديث، فهو الحق المهيب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. كتاب فصلت آياته، مباركٌ في تلاوته وتدبره، والاستشفاء به والتحاكم إليه والعمل به.

كتابٌ ختم الله به الكُتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء بدين عام خالد ختم الله به الرسالات.

فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه مُنزلة كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وناط به كل سعادة، وهو حجة الرسول وآياته الكبرى، يقوم في فم الدنيا شاهدًا برسالته، ناطقًا بنبوته، دليلاً على صدقه وأمانته.

وهو ملاذ الدّين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعبادته، وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه.

وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها وتفوق به سائر اللغات العالمية في أساليبها ومادتها.

Upload by : altawhedmag.com

فهو مبارك في تلاوته وتدبره والاستشفاء به والتحاكم إليه والعمل به، كل حرف منه بعشر حسنات، شافع مشفع وشاهد صدق، أنيس ممتع، وسمير مفيد، وصاحب أمين معجزٌ مؤثر له حلاوة وعليه طلاوة، يعلو ولا يعلى عليه، ليس بسحر ولا شعر، ولا بكهانة، ولا بقول بشر، بل هو كلام الله تعالى، منه بدا، وإليه يعود، نزل به الروح الأمين على قلب رسول رب العالمين ليكون من المرسلين، بلسان عربي مبين، فهو الكتاب الذي فاق الكتب فصاحة، وفاقها بلاغة، وعلا عليها حجة وبيانًا، وهو هدًى ورحمة وموعظة وشفاء لما في الصدور، ونور وبرهان ورشد وسداد ونصيحة وتعليم محفوظ من التبديل، محروس من الزيادة والنقص، معجزة خالدة، عصمة لمن اتبعه، ونجاة لمن عمل به، وسعادة لمن استرشده، وفوز لمن اهتدى بهديه، وفلاح لمن حكمه في حياته.

روى مسلم عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين». وهو الكتاب الذي أفحم الشعراء، وأسكت الخطباء، وغلب البلغاء، وقهر العرب العرباء، وأعجز الفصحاء، وأعجب العلماء، وأذهل الحكماء. قال الله تعالى: «إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ» (الإسراء: ٩).

لذلك كله، كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته، ومن سلف الأمة، وخلفها جميعًا إلى يوم الناس هذا. وقد اتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه، إلى غير ذلك.

ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم، ودونوا الكتب، وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطًا بعيدة، حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام، وكانت هذه الثروة ولا تزال مفخرة نتحدى بها أمم الأرض، ونفحم بها أهل الملل والنحل في كل عصر ومصر.

وهكذا أصبح بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة، وموسوعات قيمة فيما نسميه علم القراءات، وعلم التجويد، وعلم الرسم، وعلم التفسير، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وما شاكل ذلك من العلوم الدينية والعربية مما يعتبر بحق أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب وباب هذا المظهر معجزة جديدة مصدقة لقوله سبحانه: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ» (الحجر: ٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 3

حماية جناب التوحيد وحقوقه

إعداد: د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى علَّمنا أن نوحده ونفرده بذلك التوحيد، فقال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦- ٥٧).

قال مقاتل بن سليمان رحمه الله: يعني: إلا ليوحدون، وقالوا: إلا ليعرفون، يعني: يعرفون ما أمرتهم إلا بالعبادة. (تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ١٣٣).

والعبادة حق التوحيد: وهو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة. قال الله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحافظ على هذا التسليم لا يُقصّر فيه مثقال ذرة، فيبذل قصارى جهده عليه الصلاة والسلام في أن يسمع ويطيع لربه سبحانه إذا أمره وإذا نهاه، مهما تردد في نفسه شيء.

موقفه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عند نزول آخر البقرة:

هذا موقف من المواقف النبوية مع التنزيل المبارك: قد أشكل على الصحابة رضي الله عنهم تفسيره وتحمُّله واستيعابه، فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستغربين تفسير ما نزل في تلك الآيات. ومن الناحية العقلية معهم حق: لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم خيرة خلق الله تعالى حول رسولهم عليه الصلاة والسلام، كما وصفهم ابن مسعود.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إنَّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ" (مسند أحمد ح ٣٦٠٠ وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر رحمه الله).

فقلوبهم رضي الله عنهم خير قلوب العباد نقاءً وصفاءً وأكثر قابلية للحق، ووزراء النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرهم في أمور الدنيا والدين، فاتفاقهم صريح، وإجماعهم صحيح. وما رأوه حسنًا فهو عند الله حسن. وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيء. لكن الله تعالى يبتلي المرء ويختبره على قدر دينه وإيمانه وإدراكه وعقله فكان الاختبار لهم، والذي صحح لهم الاختبار هو سيدهم المصطفى المختار، صلى الله عليه وسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد

Upload by : altawhedmag.com

أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير "، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦) " قال: نعم " ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦) " قال: نعم " ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) " قال: نعم " ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) " قال: نعم ". صحيح مسلم ١٩٩-١٢٥.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: قال بعضهم: ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم ﴾: يعني: ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به الله، ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله، فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا (عليه) فإن ذلك مما لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٥)، قال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ الله العبد بالهمة؟ قال: إذا كان عزما أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم، يحاسبكم به الله ويخبركم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهارا لفضله، ويعذب الكافرين إظهارا لعدله، وهذا معنى قول الضحاك، ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدل عليه أنه قال: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ ولم يقل: يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذة. (تفسير البغوي: ١/ ٤٠٠).

وقال الزمخشري رحمه الله: ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾: ولا يدخل في ما يخفيه الإنسان: الوساوس وحديث النفس، لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه تلاها فقال: لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن، ثم بكى حتى سمع نشيجه، فذكر لابن عباس فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل ﴿ لا يكلف الله ﴾. (تفسير الزمخشري ١/ ٣٣٠).

والنبي صلى الله عليه وسلم يعرف كل ما قاله الصحابة وزيادة حول هذه الآية، فهو أعلمهم بالله عز وجل، ومع هذا لا يقول لهم إلا ما أمره به ربه، ولا يتردد في التسليم مهما فهم كفهمهم، ولكنه ينتظر أمر الله تعالى الذي يقص الحق وهو خير الفاصلين، وقد حصل ما انتظره، فجاءه الفصل في القضية.

قال العلامة بدر الدين العيني رحمه الله: الصحابة الذين قالوا: (وقد أنزلت هذه الآية لا نطيقها) هم: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وناس من الأنصار رضي الله عنهم فقالوا: ما نزلت آية أشد علينا من هذه الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت، فقولوا: سمعنا وأطعنا، فمكثوا بذلك حولا فأنزل الله عز وجل الفرج والراحة بقوله: ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ فنسخت هذه الآية ما قبلها. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا أو يتكلموا به. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/ ١٣٣).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: فجاء الصحابة، رضي الله عنهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجثوا على ركبهم، وقد فعلوا ذلك من شدة الأمر، فالإنسان إذا نزل به أمر شديد يجثو على ركبتيه، وقالوا: يا رسول الله: إن الله

Upload by : altawhedmag.com

تعالى أمرنا بما نطيق: الصلاة، والجهاد، والصيام، والصدقة، فنصلي، ونجاهد، ونتصدق، ونصوم. لكنه أنزل هذه الآية: «وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ» (البقرة: ٢٨٤). وهذه شديدة عليهم لا أحد يطيق أن يمنع نفسه عما تحدثه به من الأمور التي لو حوسب عليها لهلك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا)؟ أهل الكتابين هم اليهود والنصارى. فاليهود كتابهم التوراة، وهي أشرف الكتب المنزلة بعد القرآن. والنصارى كتابهم الإنجيل وهو متمم للتوراة. واليهود والنصارى عصوا أنبياءهم وقالوا: سمعنا وعصينا. فهل تريدون أن تكونوا مثلهم؟ (ولكن قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير).

هكذا يجب على المسلم إذا سمع أمر الله ورسوله أن يقول: (سمعنا وأطعنا) ويمتثل بقدر ما يستطيع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وكثير من الناس اليوم يأتي إليك يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكذا، هل هو واجب أو سنة؟ والواجب عليك أنه إذا أمرك فافعل: إن كان واجباً فقد أبرأت الذمة، وحصلت خيراً. وإن كان مستحباً فقد حصلت خيراً أيضاً. أما أن تقول: أهو واجب أو مستحب؟! وتتوقف عن العمل حتى تعرف. فهذا لا يكون إلا من إنسان كسول لا يحب الخير ولا الزيادة فيه.

أما الإنسان الذي يحب الزيادة في الخير، فهو إذا علم أمر الله ورسوله قال: سمعنا وأطعنا ثم فعل، ولا يسأل أهو واجب أو مستحب، إلا إذا خالف، فحينئذ يسأل، ويقول: أنا فعلت كذا وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكذا فهل عليّ من إثم؟ ولهذا لم نعهد ولم نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا: يا رسول الله: أعلى سبيل الوجوب أم على سبيل الاستحباب؟ ما سمعنا بهذا، كانوا يقولون: سمعنا وأطعنا، ويمتثلون.

شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٢٢-٣٢٣).

والذي روى الحديث السابق هو أبو هريرة نفسه الذي روى الحديث اللاحق. حديث الفرج وراحة الصدر التي عانى منها الصحابة رضي الله عنهم أول الأمر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا، أو يعملوا به». صحيح مسلم ح٢٠١- ١٢٧. وفي رواية البخاري زيادة: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست، أو حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم». البخاري ح ٦٦٦٤.

جزاء التسليم المطلق لرب العالمين:

قال صلى الله عليه وسلم: فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (البقرة: ٢٨٥). فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» (البقرة: ٢٨٦) "قال: نعم" «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا» (البقرة: ٢٨٦) "قال: نعم" «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» (البقرة: ٢٨٦) "قال: نعم" «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٢٨٦) "قال: نعم".

فقد أنزل الله التخفيف، ورفع الحرج عن الصدور، وشهد الله تعالى لهم بأنهم استسلموا له وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، وكفى بالله شهيداً. ثم كانت إجابة المطالب العلية كلها بقول الله تعالى لهم مع كل مطلب: "قال: نعم".

فاللهم ارزقنا قوة الإيمان بك والتسليم لك. والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

وصية النبي ﷺ بأهل مصر

إعداد
الشيخ / صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن لمصر منزلة عظيمة في قلوب المسلمين، لذلك أحببت أن أذكر بعض فضائل مصر. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

اسم مصر

سُمِّيَتْ مصرُ بذلك لأنَّ الذي بناها هو مصرُ بنُ بيصر بنُ حام بن نوح، عليه السلام، فسُمِّيت به. (تاج العروس للزبيدي جـ١٤صـ١٢٦).

تعريف القبط

القبطُ: هم أهل مصر، وهم أصلها. ويُنسَبُ القبطُ إلى القبط بن حام بن نوح، عليه السلام. (تاج العروس للزبيدي جـ٢٠صـ ٥).

فائدة مهمة

القبطُ: اسمٌ يُطلق على كلِّ من سكن مصر قبل الإسلام، بصرف النظر عن ديانته.

أسماء مصر

قال أبو الخطاب بن دحية: مصرُ أخصبُ بلاد الله، وسماها الله تعالى بمصر وهي هذه دون غيرها، ومن أسمائها: أمُّ البلاد، والأرضُ المباركة؛ وذلك لما فيها من الخيرات التي لا توجد في غيرها، وساكنها لا يخلو من خير يدرُّ عليه فيها، فكأنها البقرة الحلوبُ النافعة. (تاج العروس للزبيدي جـ١٤صـ١٢٦).

منزلة مصر في القرآن

ذكر الله تعالى مصر في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن، منها ما هو صريح اللفظ، ومنها ما دل عليه القرآن وكتب التفسير. (حسن المحاضرة للسيوطي جـ١صـ١١:١٤).

سوف نذكر بعض الآيات التي جاء فيها ذكرُ مصر، وذلك على سبيل المثال:

(١) قال جل شأنه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا

Upload by : altawhedmag.com

لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » (يونس:٨٧).

(٢) قال سبحانه: « وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا » (يوسف:٢١).

(٣) قال تعالى: « فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » (يوسف:٩٩).

نبينا صلى الله عليه وسلم يوصي المسلمين بأهل مصر خيرا

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما». (مسلم حديث:٢٥٤٣).

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: الذمة فهي الحرمة والحق. وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم. وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم. (مسلم بشرح النووي جـ٨ صـ٣٣٨).

(٢) عن الزهري، عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا افتتحتم مصرا فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما». قال الزهري: فالرحم أن أم إسماعيل منهم. (السلسلة الصحيحة للألباني حديث ١٣٧٤).

(٣) عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته فقال: الله، الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة، وأعوانا في سبيل الله. (السلسلة الصحيحة للألباني حديث:٣١١٣).

نبينا صلى الله عليه وسلم يدعو أهل مصر إلى الإسلام

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في سنة سبع من الهجرة، إلى المقوقس، عظيم القبط، يدعوه إلى الإسلام. وبعث الرسالة مع حاطب بن أبي بلتعة. وهذا نصها: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بداعية الإسلام. أسلم تسلم. وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم القبط و «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» (آل عمران: ٦٤) (عيون الأثر، لابن سيد الناس، جـ٢صـ٣٣٢).

رد المقوقس على رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم

دعا المقوقس كاتبا له يكتب بالعربية. فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسالة. هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط. سلام. أما بعد: فقد قرأت كتابك. وفهمت ما ذكرت فيه. وما تدعو إليه. وقد علمت أن نبيا بقي. وكنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد أكرمت رسولك. وبعثت إليك بجاريتين. لهما مكان في القبط عظيم. وبكسوة. وأهديت لك بغلة لتركبها. والسلام عليك. (عيون الأثر. لابن سيد الناس. جـ٢ صـ٣٣٣).

أنبياء مولودون في مصر

موسى. وهارون. ويوشع بن نون. صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

أنبياء سكنوا مصر

إبراهيم. وإسحاق. ويعقوب. ويوسف. وعيسى ابن مريم. صلى الله وسلم عليهم. (فضائل مصر. للحسن بن زولاق صـ١٣).

مصريون صالحون

عمرت مصر بالكثير من أولياء الله تعالى الصالحين. ومنهم: ذو القرنين. ومؤمن آل فرعون. والخضر. وسحرة فرعون. (تفسير ابن أبي حاتم جـ٨. صـ٢٧٦٢).

مصريات صالحات

عمرت مصر بالكثير من الصالحات. ومنهن: سارة زوجة إبراهيم. وهاجر أم إسماعيل. وآسية بنت مزاحم (زوجة فرعون). ومريم بنت عمران. وماشطة بنت فرعون. وأم موسى. ومارية بنت شمعون المصرية وأختها سيرين (رضي الله عنهن).

دخول أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم مصر

عدد أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم الذين

Upload by : altawhedmag.com

دخلوا مصر، كانوا أكثر من ثلاثمائة صحابي، وقد ذكر أسماءهم الإمامُ السيوطي. (حسن المحاضرة للسيوطي جـ١ صـ١٣٢).

خلفاء دخلوا مصر

دخل مصر من الخلفاء: معاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز، ومروان بن محمد، وأبو العباس السفاح، وأبو جعفر المنصور، والمأمون، والمعتصم، والواثق. (فضائل مصر، للكندي ص٥).

مصر بلد الخير

أثبت التاريخُ أن أهل مصر، بعد دخولهم في الإسلام، يقفون بجوار كل من يطلبُ منهم المساعدة، فيُقدمُون لهم الطعام والشراب والكساء والدواء، والمسكن، وكل ما يحتاجون، وبدون مقابل. ففي خلافة أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب، وفي عام الرمادة، عمَّ جدبٌ أرضَ الحجاز، وجاع الناسُ جُوعًا شديدًا، فكتب أميرُ المؤمنين، عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، وهو بمصر، يطلب منه المساعدة. فكتب إليه عمرو بن العاص: لعبد الله عمر أمير المؤمنين: أما بعد: فيا لبيك ثم يا لبيك! قد بعثت إليك بعير(الإبل) أولها عندك وآخرها عندي، والسلام عليك ورحمة الله. فبعث عمرو إليه بعير عظيمة، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر، يتبع بعضها بعضًا، فلما قدمت على أمير المؤمنين عُمر وسَّع بها على الناس، فأعطى كل أهل بيت بالمدينة وما حولها بعيراً بما عليه من الطعام. (حسن المحاضرة للسيوطي جـ١ صـ١٢٤).

شهادة عمر بن الخطاب لجنود مصر

قال الخليفةُ الراشدُ، عُمرُ بْنُ الْخَطَّاب، لعمرو بن العاص (أمير مصر) حين قدم عليه: قد عرفت الذي أصاب العرب، وليس جندٌ من الأجناد أرجى عندي من أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جُندك. (فتوح مصر والمغرب، لابن عبد الحكم صـ١٩١).

خليج أمير المؤمنين في مصر

كَتَبَ أميرُ المؤمنين، عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص (أمير مصر) يقدُمُ عليه هو وجماعة من أهل مصر، فقدموا عليه. فقال أمير المؤمنين، عمر: يا عمرو: إن الله قد فتح على المسلمين مصر، وهي كثيرة الخير والطعام، وقد ألقي في نفسي، لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين، والتوسعة عليهم، أن أحفر خليجًا من نيلها حتى يسيل في البحر (وهو البحر الأحمر) فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة؛ فإن حمله على الظهر يبعُدُ، ولا نبلغ معه ما نريد؛ فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم. فقام عمرو بن العاص بحفر خليج من النيل إلى البحر الأحمر؛ فلم يأت عامٌ حتى فرغ المصريون من حفره، وجرت فيه السفن، فحمل فيه عمرو بن العاص ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة، فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين، وسمي خليج أمير المؤمنين، ثم لم يزل يُحمل في هذا الخليج الطعام، حتى حُمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز، ثم ضيَّعه الولاة بعد ذلك، فتُرك وغلب عليه الرمل، فانقطع، وصار منتهاه إلى بحيرة التمساح، التي أصبحت الآن جزءاً من قناة السويس. (حسن المحاضرة للسيوطي جـ١ صـ١٢٥).

مسجد عمرو بن العاص

يُعتبرُ مسجد عمرو بن العاص هو أول مسجد بُني في قارة أفريقيا، بعد أن فتح المسلمون مصر في عام عشرين من الهجرة، على يد عمرو بن العاص، في عهد الخليفة الراشد: عمر بن الخطاب. لقد وقف على بناء مسجد عمرو بن العاص ثمانون رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. منهم: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعُبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وفضالة بن عُبَيْد، وعقبة بن عامر وأبو ذر الغفاري وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر، وعمرو بن العاص، وأبو هريرة، وغيرهم. (حسن المحاضرة للسيوطي جـ١ صـ١٠٣).

الأزهر منارة العلم في العالم الإسلامي

يُعتبرُ الجامع الأزهر الشريف هو أول جامع بُني

Upload by : altawhedmag.com

بالقاهرة، أنشأه القائد جوْهرُ الصقلي، في عهد المعز الفاطمي، وابتدأ بناءه في يوم السبت، الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة من الهجرة، وكمل بناؤه في السابع من رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة من الهجرة. (حسن المحاضرة للسيوطي جـ١صـ٢٢١).

لقد أصبح الأزهرُ، بفضل الله تعالى، منارة من منارات العلم، وجامعة من أكبر الجامعات الإسلامية، على مستوى العالم، وقد خرج منه الكثيرُ من الدُعاة إلى الله تعالى. ويأتي طلابُ العلم، من جميع دول العالم إلى جامعة الأزهر ليتعلموا أحكام الشريعة الإسلامية وسائر العلوم الدنيوية، التي تنفع المسلمين في دينهم ودنياهم.

أقوال السلف الصالح عن مصر وأهلها

(١) قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أهل مصر أكرم الناس، وأسمحهم يداً، وأفضلهم عنصراً، وأقربهم رحماً بالعرب عامة، وبقريش خاصة. (فضائل مصر- للحسن بن زولاق صـ١٢، ٩).

(٢) قال كعبُ الأحبار: لولا رغبتي في بيت المقدس، لما سكنت إلا مصر: فقيل له: فلم؟ فقال: لأنها مُعافاة من الفتن، ومن أرادها بسوء كبَّهُ الله على وجهه، وهو بلدٌ مُباركٌ لأهله فيه. (فضائل مصر- للحسن بن زولاق صـ١١).

(٣) قال هارون الرشيد: مصرُ موروثة يوسف، صلى الله عليه وسلم. (فضائل مصر- لابن زولاق صـ١٠١).

(٤) قال شُفيُ الأصبحي: لا يريدُ أحدٌ بأهل مصر سوءاً، إلا أهلكه الله تعالى. (فضائل مصر- للحسن بن زولاق صـ١٢).

(٥) قال المقريزي: أهل مصر يستغنون بها عن كل بلد، حتى أنه لو ضُرب بينها وبين بلاد الدنيا بسُور، لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع البلاد. (الخطط للمقريزي جـ١صـ٥٣).

فقهاء وعلماء مصريون

كان بمصر كثيرٌ من الأئمة الفقهاء والعلماء، منهم: إمامُ قُراء القرآن ورْش، والشافعي، والليث بن سعد، والربيع بن سليمان، ومحمد بن يوسف الكندي وعبد الملك بن هشام، وابن النحاس، والشاطبي وعبد الغني المقدسي، والمنذري وابن دقيق العيد، وابن حجر الهيتمي، والعز بن عبد السلام، وابن حجر العسقلاني ومحمود العيني، وزكريا الأنصاري والمقريزي والسيوطي (رحمهم الله جميعا)، وغيرهم كثيرٌ. كل واحد منهم قد فاق أهل عصره وبرز عليهم في الفقه والعلم والأخبار وأيام الناس وفي سائر العلوم. (فضائل مصر- لابن زولاق صـ٢٨: ٣٢).

دخول أئمة الحديث مصر

دخل مصر كثيرٌ من أئمة الحديث، منهم: البخاري ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابنُ ماجه، وابن خزيمة، وغيرهم (رحمهم الله).

علماء حديث مصريون

كان في مصر كثيرٌ من علماء الحديث، منهم: حرملة بن يحيى، ومحمد بن رُمح، ويونس بن عبد الأعلى، وعيسى بن إبراهيم، ويزيد بن سنان، وبحر بن نصر، وأبو جعفر الطحاوي، وغيرهم كثير. (فضائل مصر- للحسن بن زولاق صـ٣٢: ٣٤).

المصريون يصنعون كسوة الكعبة

كان سلاطين المماليك في مصر يحرصون على إرسال كسوة الكعبة كل عام مع قافلة الحجاج المصريين إلى بيت الله الحرام؛ لأن كسوة الكعبة شرف يمثل أقوى الروابط الإسلامية في نظرهم، ولا يمكنهم التخلي عنه. (الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي- جـ٥صـ١١٤).

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين. وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

الدعوة وبناء المجتمع

صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد: د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - جامعة الباحة سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد كان رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام يسعون من خلال قيامهم بتبليغ الدعوة إلى إصلاح واقع الناس، وإرشادهم إلى خيري الدنيا والآخرة، فهذا شعيب عليه السلام بعد أن بين دعوته لقومه قال لهم: «قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (سورة هود: ٨٨)، وهذا موسى عليه السلام لما استخلف أخاه هارون عليه السلام قال: «وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ» (الأعراف: ١٤٢).

كما جاءت نصوص كريمة عديدة تبين فضل الإصلاح بأنواعه والأجر المترتب عليه؛ تذكيراً للقيام به، وتحفيزاً للاهتمام بشأنه، ومنها قوله سبحانه: «لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء: ١١٤).

ولقد بدأ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حياته في رعي الغنم، فاكتسب صفات الصبر والرحمة والقناعة، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره خرج مع عمه إلى الشام للتجارة، فاتسعت مداركه وخبراته واكتسب صفات التحمل والنظام والإخلاص، والصدق والأمانة، فنال ثقة الناس وحبهم.

وتواترت الروايات الصحيحة التي أكدت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جُبل على فعل الخير والاهتمام بالمواقف الخيرة، وشهودها منذ سني عمره الأولى والمشاركة العملية فيها، والتفاعل معها، وعُرف بذلك بين بني قومه، حتى صارت تلك صفاته التي يعرفونها من خلالها؛ وخير من يؤكد ذلك السيدة خديجة رضي الله عنها؛ حين وصفته بقولها: "كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر. (رواه البخاري ومسلم).

الإسلام والدعوة:

إن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم في دين الله أفواجا، هو منهاجه الرباني، الذي أنزله رب العزة سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم هذا المنهاج الذي أمره الله تعالى فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا، فأساس الدعوة هو القول اللين حتى لو كان المدعو من أعتى الخلق، يقول الله عز وجل لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: «فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ

Upload by : altawhedmag.com

أَوْ يَخْشَىٰ» (طه:٤٤). فالدعوة إلى الله من أوجب الواجبات وهذه الدعوة يجب أن تتسم بالحكمة والموعظة الحسنة. قال تعالى: «ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (النحل:١٢٥). وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد. قال تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» (البقرة: ٢٥٦).

وقال سبحانه وتعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون الذي ادعى الألوهية. قال تعالى: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ» (طه: ٤٤). وعندما خافا أن يبطش بهما. بيّن الله تعالى أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما في دعوتهما. فالله سبحانه يؤيد كل داع مستجيب لمنهاجه. ويدعو بالقول اللين الذي لا ينفر. فقال تعالى رداً عليهما: «قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ» (طه:٤٦).

وتقضي سماحة الدعوة أن تعرض ولا تفرض. قال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» (الكافرون:١-٦). فإن كانت هناك مجادلة اقتضاها الموقف فلتكن بالحسنى ولين الكلام. قال تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ٦٤). وقال تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (العنكبوت:٤٦).

مفهوم الدعوة:

الدعوة في اللغة: الحث والحض والطلب، والنداء والصياح والدعاء، والابتهال والرجاء والرغبة.

أما في الاصطلاح: فإن الدعوة كغيرها من المصطلحات العلمية تعددت عبارات المتخصصين في تعريفها وبيان معناها وتنوعت أساليبهم في ذلك.

فالدعوة هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة وتطبيقه في واقع الحياة من خلال العلماء والمستنيرين في الدين.

أركان الدعوة:

وهي الأركان التي لا بد من وجودها في أي عملية دعوية على مستوى الأفراد أو الجماعات. وتتمثل في التالي:

- الداعي: وهو القائم بالدعوة والمباشر لأدائها والمزاول لمهامها سواء أكان متطوعاً أو رسمياً فرداً كان أو جماعة.
- المدعو: وهو المتلقي للدعوة والمستهدف بها فرداً كان أو جماعة ذكراً كان أم أنثى صغيراً كان أو كبيراً.
- المضمون: وهو مادة الدعوة المعروضة، وموضوعها المطروح.
- الطريقة: وهي الكيفية التي تؤدى بها الدعوة وتقدم: بما تحويه من منهج، ووسيلة، وأسلوب.

أهداف الدعوة:

إن الدعوة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية من شأنها تحصين قيم الإنسان المسلم المعاصر واعزاز طاقته الروحية والفكرية، والتصدي للأفكار الهدامة كالإرهاب والتطرف والغلو، وكذلك الأفكار الدخيلة التي تنتمي إلى منظومة الغزو الفكري والثقافي والمفاهيمي والسلوكي والوجداني، كي نضمن استمرار فعالية الدور الذي يؤديه في مختلف مجالات وميادين الحياة المعاصرة، التي باتت تتسم بالمزيد من الصعوبات والتعقيدات، ومن أهم أهداف الدعوة ما يلي:

- توجيه الإنسان إلى عبادة الله عز وجل وفق ما شرع الله.
- إعداد البيت المسلم ومحاولة تربية جميع أفراده وفق منهج وتعاليم الدين الإسلامي.
- تبديل الواقع السيئ الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر إلى واقع إسلامي يقربهم من الله ثم من الناس.
- تربية الإنسان تربية إسلامية صحيحة ومتكاملة، والتركيز على الأخلاق والقيم الإسلامية والاجتماعية.
- الدعوة إلى مقاومة أعداء الأمة الإسلامية، وإعادة الوحدة بين المسلمين في العالم كله ونشر دعوة الله في الأرض.

صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة وبناء المجتمع:

هناك شواهد عملية في حياته الرسول صلى الله عليه وسلم المبكرة تؤكد أنه كان يشارك بفاعلية، وايجابية في مجتمعه، وأنه كان يسهم بكل ما يستطيع في بناء واقع بني قومه بالدعوة من أجل

Upload by : altawhedmag.com

بناء المجتمع منها ما يلي:

تحكيمه صلى الله عليه وسلم في حادثة الحجر الأسود:

اشتهر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحكمة ويتجلى ذلك في حسم النزاع بين أهل مكة حين اختلفوا على من يضع الحجر الأسود في مكانه، وعندما اختير حكمًا بسط رداءه ووضع الحجر عليه، وطلب أن تأخذ كل قبيلة بطرف فرفعوه جميعاً فأخذه الرسول ووضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة في موضعه المعروف من الكعبة الشريفة، وبذلك هدأت النفوس، وحقنت الدماء، ورضي القوم بهذا الرأي الحصيف والعقل السديد.

شهرته صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصدق:

يشير مفهوم الأمانة إلى الحفاظ على ما يترك الفرد من ممتلكات أو مال أو أي شيء يخص الآخرين، كما يشير إلى عدم الغش أو إفشاء السر، وشهرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصدق كانت سبباً رئيساً ليودع القوم أموالهم عنده؛ ليحفظها لهم، وهذا من جملة ما كان يقوم به صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في حاجة المجتمع، ومعايشة قضاياه، ولذلك فعندما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، أقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عدة ليال في مكة، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، ولما فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

حثه صلى الله عليه وسلم على الإصلاح بين المتخاصمين:

رغّب الله سبحانه وتعالى بالإصلاح بين الناس، وإزالة ما قد يحصل بينهم من التشاحن والتباغض في قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)، وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، في قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة" (رواه أبو داود)، والحالقة هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله، وهنا في الحديث ترغيب في إصلاح ذات البين بين المسلمين؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفرقة بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى الإصلاح بين الناس، ورفع التفاسد عنهم، نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم.

حثه صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة لولي الأمر:

لقد تجلى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالمحافظة على وحدة صف المجتمع المسلم واصلاحه، والنأي به عن الأزمات والاضطرابات؛ من خلال أمره بالسمع والطاعة لولي الأمر، مما يُعين على تحقيق المصالح ودرء المفاسد، بشرط ألا يؤمر المسلم بمعصية الله سبحانه وتعالى فلا سمع ولا طاعة، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة حق، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (رواه البخاري).

حثه صلى الله عليه وسلم على السعي في قضاء حوائج الناس:

ومما يدل على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بإصلاح المجتمع، ومراعاة أحوال أفراده حثه على الاهتمام بالسعي في حاجات الناس المتنوعة والترغيب بق ضائها، والاستماع إلى مشكلاتهم، والوقوف معهم وقت الأزمات المالية، أو بمساندتهم بالرأي والمشورة، أو بالشفاعة لهم عند الحاجة إليها، أو بالمساعدة البدنية، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" (رواه البخاري).

كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة وكذلك الأرامل والمساكين والأيتام في المجتمع المسلم من خلال قضاء حوائجهم، والإحسان إليهم؛ حتى لا تدفع بهم حاجاتهم إلى الوقوع فيما لا يحمد عقباه في الدارين.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

رمي السهام في نحور الأنام

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء، والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فما زلنا في رحاب بيت النبوة مع قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ وقد أثار المغرضون شبهة تجاه هذا الزواج؛ تتلخص في أنه رآها متكشفة فُضلًا؛ فأعجب بها، وأحبها، وهي تحت زيد، وتلك لعمر الله فرية ما أقبحها، وكذبة ما أشنعها، وقد سبق لنا في العدد السابق بيان بطلان هذه الروايات من جهة السند والمتن، والآن نكمل وجوه الرد على هذا البهتان:

الوجه الأول: في بيان من هي زينب بنت جحش رضي الله عنها؟ وقد أجبنا عن ذلك في المقال الأول حيث ذكرنا هناك: أنها ابنة عمته ولم تكن غريبة عنه وأنه هو الذي خطبها لزيد رضي الله عنه.

الوجه الثاني: كيف تم زواج زيد من زينب؟ ولماذا لم يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الأمر؟

أما عن كيفية إتمام الزواج فقد كان بأمر الله ورسوله؛ فقد كان زيد مولى، وكانت زينب سيدة شريفة، ولذلك لما خطبها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد أبدت عدم الموافقة مبدئيًا بقولها: أؤامر نفسي - أي: أفكر وأشاور نفسي- فقال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»...الآية (الأحزاب: ٣٦) فلما نزلت الآية رجعت عن مشاورة نفسها وعظمت أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. تفسير ابن كثير (٣/ ٦٤٥).

وأما لماذا لم يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الأمر؟

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى زينب للمرة الأولى، فهي بنت عمته، ولقد شاهدها منذ ولدت، وحتى أصبحت شابة، أي: شاهدها مرات عديدة، فلم تكن رؤيته لها مفاجأة، كما تصور القصة الكاذبة! ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أي ميل نحو زينب رضي الله عنها لتزوجها، وقد كان هذا أملها، وأمل

Upload by : altawhedmag.com

أخيها حين جاء صلى الله عليه وسلم يخطبها منه، فلما صرح لهما بزيد، أبيا، فأنزل الله تعالى: الآية السابقة: فقالا: رضينا بأمر الله ورسوله، فهذا يوضح أن الزواج من زيد كان بوحي - أيضًا- ولذلك لم يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر، وكانت هذه الآية توطئة وتمهيدًا لما ستقرره الآيات التالية لها من حكم شرعي يجب على المؤمنين الانصياع له، وامتثاله والعمل به، وتقبله بنفس راضية، وقلب مطمئن، وتسليم كامل. رد الشبهات لعماد الشربيني (٢٥٦).

الوجه الثالث: أن قولهم رآها فوقعت في قلبه أو أعجبته، إما أن يكون رآها قبل الدخول حالة الاستئذان، وإما أن يكون قد دخل، وكلاهما باطل.

أما الأول: فلأنه صلى الله عليه وسلم علّمنا أن للاستئذان آدابًا، منها:

النهي عن أن يطلع الإنسان في دار قبل أن يستأذن. كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧) إلى آخر الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه» صحيح مسلم (٢١٥٨).

وإما أن يكون دخل بغير استئذان: حتى اطلع على أهل البيت وهي تغتسل كما في الرواية المكذوبة: فهذا أبطل من الأول، وكيف ذلك وهو الذي قال: "إياكم والدخول على النساء". فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت". أخرجه البخاري (٤٩٣٤).

ومعنى الحديث على نحو ما ورد "لا يخلون رجل بامرأة: فإن ثالثهما الشيطان" رواه أحمد (١٧٧).

وقال النووي: اتفق أهل العلم باللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه... شرح النووي (١٤/ ١٥٤).

وقال ابن عبد البر: بعد ذكر الآثار في معنى هذا: وهذه آثار ثابتة بالنهي عن ذلك، ومحال أن يأتي رسول صلى الله عليه وسلم ما ينهى عنه. التمهيد (١/ ٢٢٨).

الوجه الرابع: أن هذا الفعل المدعى فيه خيانة قلبية، وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه خائنة الأعين، وهو من التطلع إلى ما مُتّع به غيره، وهو من الحسد المذموم. قال أبو بكر بن العربي: الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ ... (طه: ١٣١)، وأعظم ما يُتمتع به النساء، وهو يخبر عن نفسه. فيقول: "ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين" رواه الحاكم (٤٣٦٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٢٦).

والحسد المذموم، هو تمني زوال النعمة من العبد إليك، والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك. (البدر المنير (٧/ ٤٧١)).

الوجه الخامس: في بيان السبب الحقيقي في طلاقها من زيد رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"... وعن ثابت: «وتخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناس» نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة. أخرجه البخاري (٦٩٨٤).

فقوله: جاء زيد بن حارثة يشكو أي: جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو زوجه زينب ويستشيره في طلاقها: لأنها كانت تترفع عليه، وتقابله ببعض الكلام غير المناسب...

ومن هذا يعلم: أن السبب في طلاقها ومن ثم زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها: هو ما كان بين زيد وبين زينب من خلافات، وأنه لم يكن بينهما وئام يؤمل معه أن تبقى الحياة الزوجية بينهما، فطلقها بمحض اختياره، ورغبته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن ذلك، وقد كان الله- عز وجل- قد أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زيدًا سيطلق زينب، وأنها ستكون زوجة له، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخفي هذا ويخشى من مقولة الناس: أنه تزوج مطلقة من كان يُدعا إليه، فعاتبه ربه على ذلك. جامع البيان للطبري (٢٢/ ١١)، فتح الباري (٨/ ٥٢٤).

فقول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد: "أمسك عليك زوجك" توفية بحق النصيحة وهو أمر نصح وإشارة بخير لا أمر تشريع والزام. محاسن الإسلام (٨/ ٣٣٤).

Upload by : altawhedmag.com

الوجه السادس: أن الله هو الذي زوجها لرسوله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله تعالى بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد، ولا مهر، ولا شهود من البشر: عن أنس-رضي الله عنه- قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: اذهب فاذكرها عليَّ: فانطلق حتى أتاها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، وأقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فولّيتها ظهري، ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي تعالى فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن. تفسير ابن كثير ٣/ ٦٤٧، والحديث أخرجه مسلم (١٤٢٨).

فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات». البخاري (٦٩٨٤).

الوجه السابع: بيان الحكمة في زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، مع أن النساء سواها كثير.

وهذه الحكمة هي رفع الحرج من صدور المؤمنين في زواج نساء الأدعياء كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

فقوله: «فلما قضى زيدٌ منها وطرًا» أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها، «زوّجناكها» وإنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة، وهي: «لكيْ لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم» حيث رأوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك، ولما كان قوله عامًا في جميع الأحوال، ولما كان من الأحوال، ما لا يجوز فيه ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها، قيد ذلك بقوله: «إذا قضوا منهنّ وطرًا وكان أمرُ الله مفعولًا» أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع.

ويتلخص مما قيل في الآية: أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب الأسدية كان لغرض تشريعي، وغاية اجتماعية ألا وهي إبطال عادة التبني.

الوجه الثامن: بيان المعنى الصحيح لمتعلق الخشية، وما الذي أخفاه النبي صلى الله عليه وسلم

معنى الخشية هو الاستحياء: أي: يستحيي منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه، ويخشى من إرجاف المنافقين، واليهود، وتشغيبهم على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان: فعاتبه الله على هذا، ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له. الشفا (٢/ ١٩٠).

عن الحسن في قوله: «وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه»، أنه قال: أعلم نبيه: أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد: ليشكوها إليه قال: "اتق الله، وأمسك عليك زوجك". فقال الله تعالى لنبيه ما معناه "قد أخبرتك أني مُزوّجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه". فتح الباري (٨/ ٥٢٣).

قال القرطبي: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق. تفسير القرطبي (١٤/ ١٦٦)

الوجه التاسع: أنه لو أخفى حبها وعشقها لأبداه الله، لأن الله قال: «وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه»، فلما لم يبده الله علم أنه لم يكن. وانظر تفصيل ذلك في نور اليقين ص (١٢٤ و١٢٥).

الوجه العاشر: بيان أن هذه القصة من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم:

فلو كان متكلمًا من عند نفسه لما قال عن نفسه «وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه»، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئًا مما أوحي إليه من كتاب الله، لكتم: «وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه»

تفسير السعدي ١/ ٦٦٥. وانظر: موسوعة محاسن الإسلام (٨/ ٣٥٢).

فهذه أوجه الرد على قولهم "رآها فأعجبته" وقد بقي الرد على قولهم، تزوج زوجة ابنه!! وقد ادخرت لهذا القول أسهمًا أرميها في نحورهم، لاحقًا في العدد القادم إن شاء الله تعالى. والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشترك

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com